

سورة الإخلاص ومنهجها في إثبات وحدانية الله تعالى

إعداد الدكتور /

عبد المنعم مختار عبد الرحمن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقـــــدمـــة

– الحمد لله الذى رضى لنا الإسلام ديناً، ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً وأوضح السبيل إلى معرفة وحدانيته وأنوار كماله وجلاله حقاً يقيناً، ووعد من آمن به وعمـــل بشـــريعته أجـــراً عظيماً، والصلاة والسلام على سيد الأخيار نبينا محمد وعلـــى آلـــه وأصحابه الطيبين الأطهار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإنَّ العقيدة الدينية – أياً كانت – ضرورةٌ لا غنى عنهـــا أبـــداً للإنسان فى حياته ؛ لأنه بحسب فطرته المركوزة فى أعماق نفســـه، والتى خلقه الله عليها يميل إلى اللجوء إلى قوة عليا يعتقد فيها القدرة المطلقة، والهيمنة الكاملة على الكون بكل ما فيه من كائنات، ويـــرى فيها منبع الرعاية والعناية، والتدبير لكـــل شـــئون حياتـــه وســـائر المخلوقات، ويشعر نحوها بالتعظيم والإجلال والإكبار.

وهذا بلا شك يحقق له ميله الفطرى إلى التدين، ويشـــبع لديـــه رغبته فيه، ونزعته إليه، وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ أولى ما يحقـــق له هذا هو الاعتقاد الصحيح الذى يوافق فطرتـــه، ويحتـــرم عقلـــه، ويحفظ له كرامته ومكانته فى هذا الوجود، وهذا ما جاءت به العقيدة الإسلامية التى هى جوهر الإسلام وأساسه، وحقيقته وروحه.

وإذا كان الإسلام بناء متكاملاً ينتظم حياة الإنسان بكل ما فيها فإنَّ هذا البناء الضخم إنما يقوم على أساس متين هو العقيدة التى تتخذ من وحدانية الخالق جل شأنه منطلقاً لها كما قال ربنا عزَّ وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

ومن هنا كانت الوحدانية هى الأصل والأساس الذى من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وكانت على رأس الصفات الواجبة لله تعالى وفى مقدمتها ؛ لأن كل ما عداها من صفات الكمال والجلال إنما هو مبنى عليها ومرتبط بها.

لهذا كله وغيره عُنى القرآن بالحديث عنها عناية فائقة فى شتى صوره وآياته، وجعلها من أهم مقاصده وغاياته، وأكد فى صراحة ووضوح أنها أساس دعوات الرسل، وجوهر رسالاتهم، فما من رسول إلا جاء بها ومن أجلها، ودعا قومه إليها، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2]، وقال جل شأنه حكاية عما جاء على لسان أنبيائه نوح وهود وصالح وشعيب – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا

١- سورة الأنعام – آية رقم ١٦٢، ١٦٣ .

٢- سورة الأنبياء – آية رقم ٢٥ .

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[١]، وعلى هذا الدرب سار جميع الرسل فى دعوتهم من أولهم إلى خاتمهم رسول الله محمد ﷺ .

وفى هذا السياق نفسه، وفى إطار الحديث القرآنى عن وحدانية الله تعالى أنزل الله على نبيه محمد ﷺ من بين ما أنزل سورة من قصار السور، تعدل ثلث القرآن، وهى سورة الإخلاص، وقد أثبت الله فيها وحدانيته، وقرر فيها أصولها، وحدد فيها معالمها فى إيجاز معجز، يستولى على الأفئدة، ويأخذ بالألباب، ولعل هذا ما جعل الإمام الآلوسى – رحمه الله – يقول فيها (وهذه السورة الجليلة قد انطوت مع تقارب قطرها على أشتات المعارف الإلهية والعقائد الإسلامية، ولذا جاء فيها ما جاء من الأخبار وورد ما ورد من الآثار)أ.هـ[٢].

ومن هنا كان الدافع لكتابة هذا البحث عن " سورة الإخلاص ومنهجها فى إثبات وحدانية الله تعالى " طمعاً فى تجلية هذا المنهج الإلهي وتوضيحه، وإظهار معالمه وقسماته، والوقوف على كيفية وصول السورة الكريمة من خلال هذا المنهج الحكيم إلى غايتها ومقصودها من أقرب طريق رغم قلة عدد آياتها وكلماتها.

١- سورة الأعراف – الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ .

٢- تفسير الآلوسى المسمى: روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للإمام أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى (المتوفى: ١٢٧٠هـ) – (١٥ / ٥١٥، ٥١٦) – تحقيق: علي عبد الباري عطية – ط دار الكتب العلمية – بيروت .

وحسبى فى هذا الصدد أن أشير إلى أنَّ هذه السورة – على وجازتها – جامعة لكل صفات الكمال ونعوت الجلال الواجبة لله سبحانه وتعالى، مصححةٌ لضلالات المشركين، وترهات أهل الكتاب وغيرهم من أهل العقائد الفاسدة الذين انحرفوا عن جادة الصواب فى أهم وأخطر ركن من أركان العقيدة على الإطلاق " عقيدة الإيمان بالله تعالى وحده ".

هذا وقد قسمت بحثى إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فقد أشرت فيها إلى أهمية الموضوع وسبب اختيارى له.

وأما التمهيد فقد عرفت فيه بأهم مفردات البحث، وذلك على النحو التالى:

أولاً: مفهوم كلمة: " سورة ".

ثانياً: معنى كلمة: " الإخلاص ".

ثالثاً: المراد بكلمة: " منهج ".

رابعاً: حقيقة الوحدانية والتوحيد، وبيان الفرق بينهما.

وأما المبحثان فقد عرضت فيهما ما يلى:

المبحث الأول: التعريف بسورة الإخلاص

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الترتيب المصحفى والنزولى للسورة.

المطلب الثانى: مكان نزول السورة وعدد آياتها.

المطلب الثالث: سبب نزول السورة.

المطلب الرابع: أسماء السورة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب السادس: مكانة السورة وأهم ما ورد فى فضلها.

المطلب السابع: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الثانى: منهج سورة الإخلاص فى إثبات وحدانية الله تعالى:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اتصافه تعالى بالأحدية ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الثانى: اتصافه تعالى بالصمدية ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الثالث: نفى الوالدية والمولودية عن الله تعالى ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الرابع: نفى المماثلة عن الله تعالى ودلالة ذلك على وحدانيته.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين إنه سميع قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دكتور: عبد المنعم مختار عبد الرحمن
المدرس بقسم الأديان والمذاهب
بكلية الدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر بالقاهرة

التمهيد

وفيه: التعريف بمفردات البحث: ويشمل

أولاً: مفهوم كلمة: " سورة ".

ثانياً: معنى كلمة: " الإخلاص ".

ثالثاً: المراد بكلمة: " منهج ".

رابعاً: حقيقة الوحدانية والتوحيد، وبيان الفرق بينهما.

التعريف بمفردات البحث

أولاً: مفهوم كلمة: " سورة "

أ- السورة فى اللغة:

- جاء فى المعجم الوجيز أنَّ كلمة سورة " مأخوذة من السُّور، والتى تعنى كل ما يحيط بشئ من بناء أو غيره، والسورة: واحدة سور القرآن، والجمع سُوَر." [١]
- وفى القاموس المحيط: تطلق السورة على " المنزلة، وهى من القرآن معروفة لأنها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، والشرف، وما طال من البناء وحَسُن، والعلامة "[٢]
- وفى المفردات: " السورة: المنزلة الرفيعة، وسور المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسورة القرآن تشبيهاً به لكونه محاطاً بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر، وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾[٣]، أى جملة من من الأحكام والحكم " [٤]

١- المعجم الوجيز : صــ ٣٢٨ - ط وزارة التربية والتعليم - مجمع اللغة العربية - ١٤١٤هــ - ١٩٩٣م .

٢- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٢- ٧٦، ٧٧) دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٢هــ - ١٩٩١م .

٣- سورة النور- آية رقم ١ .

٤- المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى: (٥٠٢هــ) - كتاب السين -صــ ٣٢٠، ٣٢١ =

- وعلى هذا فالسورة فى اللغة تدور حول عدة معان أهمها: الرفعة والعلو، والمنزلة، والشرف، والعلامة، وكلها فى الحقيقة تنطبق على معنى السورة من القرآن الكريم.

ب- السورة فى الاصطلاح:

أما السورة فى الاصطلاح فيمكن تعريفها بأنها: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع. (١)

وهى مأخوذة من سور المدينة وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة، ويُقام كل صف منه على صف.

وإما لما فى السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السُّور ورفعته الحسية.

وإما لأنها حصن وحماية للنبى محمد ﷺ وما جاء به من كتاب الله القرآن، ودين الحق الإسلام، باعتبار أنها معجزة تخرس كل مكابر، ويُحق الله بها الحق ويبطل الباطل،ولو كره المجرمون - وهى بذلك-

---

=

- تحقيق الشيخ : مصطفى العدوى - ط مكتبة الفياض بالمنصورة - مصر - الطبعة الأولى (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) .

١- مناهل العرفان فى علوم القرآن : الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى (٣٥٠/١) - طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه - الطبعة الثالثة بدون تاريخ .

أشبه بسور المدينة يحصـــنها ويحميهـــا غـــارة الأعـــداء، وســـطوة الأشقياء.[١]

وبهذا يتبين بوضوح: قوة العلاقة ومتانة الصلة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى للكلمة المباركة (سورة) ، فسور القـــرآن – كما يقول الدكتور: موسى شاهين لاشين – منزلة رفيعة بالغـــة فـــى الشرف كل غاية، تطاول فى رفعتها أعلى بناء شامخ، وهـــى علامـــة ناطقة على أنها من لدن حكيم خبير. [٢]

وحسب الكلمة (سورة) شرفاً وقدراً أن الله تعالى قد جعلها من ألفاظ كتابه، وكلمات آياته فى مواضع عدة، ومنها قوله تعالى فى صدر سورة النور ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٣]

ثانياً: معنـى كلمة: " الإخلاص "

أ- الإخلاص فى اللغة:

- جاء فى القاموس المحيط: " خَلَصَ، خُلُوصـــاً ، وخالصـــة: صـــار خالصاً،
- وإليه خلوصاً: وصل، وخالصه: صافاه، واستخلصه لنفسه: استخصه، وأخلص لله: ترك الرياء " [١].

١- المرجع السابق: (٣٥١/١) .

٢- اللآلىء الحسان فى علوم القرآن : الدكتور / موسى شاهين لاشين – صـــ ٣٢ طبعة الجمعية الشرعية الرئيسية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية بدون تاريخ .

٣- سورة النور – آية رقم ١ .

- وفى مختار الصحاح: خَلَصَ الشيء صار خَالِصاً، وخَلَّصَهُ من كـذا تَخْلِيصاً أي نجاه فَتَخَلَصَ، والإخْلاَصُ أيضا في الطاعة ترك الريـاء وقد أَخْلَصَ لله الدين "[٢].
- وفى المصباح المنير: " خَلَصَ الشَّيْءُ مِنْ التَّلَفِ خُلُوصًـا، وَخَلَاصًـا وَمَخْلَصًا سَلِمَ وَنَجَا وَخَلَصَ الْمَاءُ مِنْ الْكَدَرِ صَفَا وَخَلَّصْـتُهُ بِالتَّثْقِيـلِ مَيَّزْتُهُ مِنْ غَيْرِهِ وَخُلَاصَةُ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ مَا صَفَا مِنْهُ "[٣].
- وهكذا تدور كلمة (الإخلاص) حول معان كثيرة أهمهـا: السـلامة والنجاة، والصفاء من الكدر، وترك الرياء فى طاعة الله عز وجـل، وإخلاص الدين لله، وكلها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الاصـطلاحى للكلمة.

ب – الإخلاص فى الاصطلاح:

هناك تعريفات كثيرة فى بيان حقيقة الإخلاص اصطلاحاً، منها مـا يلى:

=

١- القاموس المحيط (٢/ ٤٤١، ٤٤٢) .

٢- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي – صــ ١٨٤ – ط المطبعة الأميرية بالقاهرة – الطبعة السابعة ١٩٥٣م .

٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي – صــ ١٧٧ – تحقيق : الدكتور / عبد العظيم الشناوى– ط دار المعارف بالقاهرة – بدون تاريخ .

١) أنَّ الإخلاص: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكـــدر لصـــفائه [(١)].

٢) وقيل هو: تصفية الأعمال من الكدورات.

٣) وقيل هو: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

٤) وقيل هو: ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجازياً سواه.

٥) وقال الجنيد – رحمه الله – الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه مَلكٌ فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوىً فيميله [(٢)].

ومهما يكن من أمر فإنَّ الإخلاص لا يتحقق إلا بتصفية القلوب، وتنقية الأعمال من كل شوائب الرياء والشرك ؛ لأن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً له، قال تعـــالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[(٣)]، وقال عز وجل: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾[(٤)].

١- التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني – صـــ ١٦ – تحقيق : محمود رأفت الجمال، ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة – الطبعة الأولى ٢٠١٣م .

٢- راجع: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية –صـــ ٦٧ – ط دارالتراث العربى – الطبعة الأولى ١٤٠٣ – ١٩٨٢م .

٣- سورة البينة – آية رقم ٥ .

٤- سورة الكهف – آية رقم ١١٠ .

وفى الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه "[١].

ولقد سُميت السورة الجليلة التى معنا بسورة (الإخلاص) لأن من يعتقد ما فيها من وحدانية خالصة لله تعالى " كان مخلصاً فى دين الله، ولأن من مات عليه كان مخلصاً من النار، ولأن ما قبله خلص فى ذم أبى لهب فكان جزاء من قرأه ألا يجمع بينه وبين أبى لهب" [٢].

١- أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الزهد والرقاق) باب: (من أشرك فى عمله غير الله) حديث رقم (٢٩٨٥).

٢- تفسير الرازى المسمى: مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي(١٦/ ٣٢/ ٧٦٧) بتصرف ط دار الغد العربى – الطبعة الأولى ١٩٩٢م – ١٤١٢هـ .

ثالثاً المراد بكلمة: " منهج "

أ- كلمة منهج فى اللغة:

جاء فى لسان العرب تحت مادة نهج: " طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه. والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [١].

والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ، ونَهَجتُ الطريقَ: سَلَكتُه. وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي يَسلُكُ مَسلَكَه. والنَّهْجُ: الطريقُ المستقيمُ. ونَهَجَ الأَمْرُ وأَنهَجَ، لُغتانِ، إِذا وضَحَ "[٢]

وفى مختار الصحاح: " النَّهْجُ، والمَنْهَجُ، والمِنْهاجُ: الطريق الواضح، ونَهَجَ الطريق: أَبانه وأَوضحه، ونَهَجَهُ أيضاً سلكه "[٣].

وفى معجم مقاييس اللغة: النهج: الطريق، ونهج لى الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج"[٤].

١- سورة المائدة- آية رقم ٤٨ .

٢- لسان العرب : محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقى – باب الجيم – مادة نهج (٢/ ٣٨٣) – ط . دار صادر- بيروت .

٣- مختار الصحاح : صـ ٦٨١ – مرجع سابق .

٤- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، كتاب : النون، (٥ / ٣٦١) – تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون – ط دار الفكر – بدون تاريخ .

وهكذا يبدو بوضوح أنَّ كلمة (منهج) فى لغة العرب تـــدور حول الطريق الواضح البيّن، والسلوك المستقيم، وهذا ما يتفق تمامـــاً مع المعنى الاصطلاحى للكلمة.

ب- المنهج فى الاصطلاح:

من خلال ما سبق ذكره فى بيان معنى (المنهج) لغةً استطاع العلماء أن يضعوا تعريفات عديدة للمنهج اصطلاحاً.

فعرفه الدكتور جلال الدين سعد فى معجمه بأنـــه: " السـلوك النظرى أو العملى الذى ينبغى أن نتوخاه مـــن أجـل بلـــوغ غايـــة محددة "[١].

وعرفه الدكتور أحمد بدوى بأنــه " الطريــق المــؤدى إلـــى الكشفف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعــد العامـــة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتـــى يصـل إلـــى نتيجـــة معلومة"[٢].

١- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية للدكتور / جلال الدين سعيد : صـــ ٤٥٠ – ط دار الجنوب للنشر – تونس – بدون تاريخ .

٢- مناهج البحث العلمى للدكتور / عبد الرحمن بدوى – صـــ ٥ – ط وكالة المطبوعات – الكويت – الطبعة الثالثة ١٩٧٧م .

أما المعجم الفلسفى لمجمع اللغة العربية فقد فصَّل القول فى تعريفه للمنهج فذكر أنَّ المنهج بوجه عام يُعرَّف بأنه " وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة "[١].

أما المنهج العلمى فيُعرَّف بأنه " خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها "[٢].

ومهما يكن من أمر فإنه – فى ضوء ما سبق – يمكن القول إنَّ المراد بمنهج سورة الإخلاص فى إثبات وحدانية الله تعالى وهو موضوع البحث: الطريقة التى اتبعتها السورة الكريمة واعتمدتها فى إثبات وحدانية الله تعالى من خلال آياتها فى وضوح كامل وبيان تام.

رابعاً: حقيقة الوحدانية والتوحيد والفرق بينهما

١ – حقيقة الوحدانية لغةً واصطلاحاً

أ – الوحدانية فى اللغة:

الوحدانية لغة تعنى: الوحدة والانفراد، وهى صفة من صفات الله عز وجل.

١- المعجم الفلسفى : مجمع اللغة العربية – صـ ١٩٥ – ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٢- المرجع السابق نفسه – صـ ١٩٥، وينظر أيضاً : البحث العلمى ومناهجه وتقنياته للدكتور محمد زيان عمر – صـ ٤٨ – ط مطبعة خالد حسن الطرابيشى بالقاهرة .

جاء فى معجم مقاييس اللغة: " الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد "[١].

وفى المفردات أيضاً: " الوحدة: الانفراد، والواحد فى الحقيقة هو الشئ الذى لاجزء له البتة، وإذا وُصف الله تعالى بالواحد فمعناه: هو الذى لا يصح عليه التجزئ ولا التكثير [٢].

ويقول إمام الحرمين الجوينى: " قد يطلق والمراد به نفى النظائر والأشكال عن الموصوف بالاتحاد فيقال: فلان واحد عصره، والمراد بذلك انفراده بصفات لا يُشارك فيها، وقد يطلق الواحد ويُراد أنه لا ملجأ ولا ملاذ بسواه.

وهذه المعانى الثلاثة – تتحقق فى صفة الإله – سبحانه وتعالى – فهو المتحد فى ذاته، المتقدس عن الانقسام والتجزئ.

وهو الواحد على أنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء.

وهو الواحد على أنه الملجأ فى دفع الضر والبلوى ولا ملجأ سواه، ولا ملاذ فى انتفاء النفع وروم دفع الضر إلا إياه.

١- معجم مقاييس اللغة لابن فارس : (٩٠/٦) – مرجع سابق .

٢- المفردات للأصفهانى – مادة وحد – صـ ٦٦٦ مرجع سابق، وينظر أيضاً : المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للإمام أبى حامد بن محمد بن محمد الغزالى، صـ ٩٢، ٩٣، ط مكتبة الإيمان بالقاهرة – بدون تاريخ .

ولا يستقيم اعتقاد الوحدانية لمن حُرم ركناً من هــذه الأركــان الثلاثة " أ.هـ[١].

والخلاصة أنَّ الوحدانية فى اللغة: مصدر صناعى من الوَحــدة بزيادة الألف والنون للمبالغة، وهى صفة مــن صــفات الله تعــالى معناها: أن يمتنع أن يشاركه شئ فى ماهيته، وصفات كماله، وأنــه متفرد بالإيجاد والتدبير العام [٢].

ب – الوحدانية فى الاصطلاح:

أما الوحدانية فى حقه تعالى اصطلاحًا فهي: نفي التعــدد فــى الذات والصفات والأفعال. [٣]

ومعنى وحدة الذات: أن ذاته – سبحانه وتعالى – ليست مركبــة من أجزاء، وليست لغيره ذات تشبه ذاته.

١- الشامل فى أصول الدين لإمام الحرمين الجوينى – صــ ٣٤٧ – تحقيق : د/ على سامى النشار، فيصل بدرعون، سهير محمد مختار – ط منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩م .

٢- المعجم الوسيط : الدكتور : إبراهيم أنس وآخرون، ص ١٠١٦، ١٠١٧، ط دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

٣ – حاشية شيخ الإسلام عبدالله بن حجازى الشرقاوى على شرح الإمام العلامة محمد بن منصور الهدهدى ص ٦١ ، ط . مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الرابعة (١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م).

ومعنى وحدة الصفات: أن الله – سبحانه – ليس له صفتان أو أكثر من جنس واحد كقدرتين وعلمين أو أكثر – مثلاً – وليس لغيره صفة كصفته تعالى.

ومعنى وحدة الأفعال: أن الأفعال كلها مخلوقة بقدرة الله وحده فلا شريك له فيها، وليس لغيره فعل من الأفعال[١].

وحاصل هذا أن الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات، والصفات، والأفعال تنفى كموماً خمسة كما يقول علماء العقيدة وهى:

" الكم المتصل فى الذات: وهو تركيبها من أجزاء، والكم المنفصل فيها وهو تعددها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات.

والكم المتصل فى الصفات: وهو التعدد فى صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فأكثر، والكم المنفصل فى الصفات وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى، وهذان الكمان منفيان بوحدانية الصفات.

والكم المنفصل فى الأفعال: وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار، وهذا الكم منفى بوحدانية الأفعال "[٢].

١- فى رياض العقيدة الإسلامية : الدكتور / محمد أنور حامد عيسى، والدكتور أحمد حمد أبو السعادات – صـ ٦٧، ط دار التوفيقية للطباعة بالأزهر – القاهرة – بدون تاريخ .

٢- المختار من شرح البيجورى على الجوهرة للعلامة الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجورى المتوفى (١٢٧٧هـ) صـ ٧١، ٧٢- ط . الإدارة =

وهكذا يبدو بوضوح أنه عز وجل " واحد لا يقبل الانقسام، وأنه لا نظير له فى الألوهية، ومن ثمَّ فلا كمَّ له متصل ولا منفصل.

وفى معنى أنه لا نظير له فى الألوهية أنه لا شريك لــه فــى إيجاد جميع الممكنات، فلا مؤثر فى شئ منها سواه سبحانه وتعالى.

فهو واحد فى ذاته أى غير مؤلف من جزئين فأكثر، وواحد فى صفاته فلا مثل له ولا نظير له، وواحد فى الأفعال فلا شريك له فــى شئ منها، ولا ضدَّ له ولا وزير له.

وليست وحدانيته سبحانه وتعالى بمعنى تناهيه فى الدقة والصغر إلى حد لا ينقسم وإلا لزم كونه "جوهراً فرداً"[(١)]، ولا بمعنــى أنــه معنى لأنه لا يقبل القسمة وإلا لزم كونه صفة محتاجاً لمحل يقوم بــه وهذا فى حقه تعالى محال.

=

العامة للمعاهد الأزهرية عام (١٣٩٦هــ - ١٩٧٦م)، وينظر أيضاً حاشية الشيخ محمد نجيب المطيعى على شرح الدردير على الخريدة فى علم التوحيد - صـــ ٦٣ - ط دار البصائر - مدينة نصر القاهرة - بدون تاريخ، وأرجوزة جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن إبراهيم حسن اللقانى المتوفى (١٠٤١هــ) مع شرحها: تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام البيجورى ص ١٢٧، ١٢٨ - ط جامعة الأزهر (١٤٣١ - ١٤٣٢هــ) - (٢٠١٠-٢٠١١م) .

١- الجوهر الفرد عند المتكلمين : هو المتحيز الذى لا ينقسم، وأما المنقسم فيسمونه جسماً لا جوهر - المعجم الفلسفى للدكتور : جميل صليبا - (٤٢٧/١) - ط دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان - ١٩٨٢م .

وبالجملة فإنَّ المقطوع به بشهادة البراهين العقليـــة والقواطـــع السمعية أنه سبحانه وتعالى ذات قائم بنفسه، أى: مستغن عن محـــل ومؤثر لوجوب وجوده، موصوفاً بما يُحاط به من صـــفات الجـــلال والجمال، ليس صفةً ولا جرماً تجرى عليه الحوادث والتغيرات، ولا تمر عليه الأزمنة، ولا يتخصص بالجهـــات، لا يقبـــل اجتماعـــاً ولا افتراقاً، ولا صغراً ولا كبراً، كل الممكنات مفتقرة إليه سبحانه، وهو الغنى عن جميعها فى الأزل وفيما لا يزال وهـــو علـــى كـــل شـــئ قدير "[١].

وليس من شك في أنَّ وحدانية الله تعالى بهذا المعنى الذى يتسم بالعمق والشمول " هى الحقيقة التى جعلها الله سبحانه وتعالى فاتحـــة التكليف، ومحور الدين، وعليها تتأسس كلياته وجزئياته، وهى الأصل والأساس الذى بعث به الرسل، ونزلت من أجله الكتب، وما ذلك إلا تنزيهاً له – سبحانه – عن الشركاء والأنداد والنظـــراء، والصـــاحبة والأبناء، وصرف وجوه العباد إليه وحـــده فـــى الاعتقـــاد والعمـــل،

١– شرح الإمام أبى عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ المسمى " هداية المريد لعقيدة التوحيد " وشرحها " عمدة أهل التوفيق والتسديد " للإمام الجليل محمد بن يوسف السنوسى – صـــ ١٠٣، ١٠٤ – ط . مطبعة محمد أفندى مصطفى ١٣٠٦هـــ– بتصرف يسير،والتوحيد للإمام أبى منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى الحنفى المتوفى: (٣٣٣هـــ) – صـــ ٢٣ – تحقيق الدكتور / فتح الله خليفة – ط . دار الجامعات المصرية .

والعبادة والطاعة، والذكر والدعاء، وسائر ما لا يليق إلا به وحده عز وجل "[١].

يقول صاحب المنار عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[٢]، أي: " وإلهكم الحق الحقيق بالعبادة إله واحد، لا إله مستحق لها إلا هو فلا تشركوا به أحدا " أ.هـ[٣]

٢- حقيقة التوحيد

أ- التوحيد فى اللغة:

جاء فى القاموس المحيط: " وحَّد توحيداً: جعله واحداً، والله الأوحد والمتوحد: ذو الوحدانية، وتوحّد الله بعصمته: عصمه، ولم يكله إلى غيره"[٤].

١- المنهاج القرآنى فى التشريع للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد – صـ ٣٣٠، ٣٣١ – ط شركة منارات للإنتاج الفنى والدراسات – الطبعة الثانية (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م) .

٢- سورة البقرة– آية رقم ١٦٣ .

٣- تفسير المنار المسمّى " تفسير القرآن الكريم " : الإمام رشيد بن على بن رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني المتوفى (١٣٥٤هـ) – (٤٥/٢) – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .

٤- القاموس المحيط – باب الدال – فصل الواو : (٦٤٦/١) .

وفى المعجم الوسيط: " وحَّد الله سبحانه وتعالى: أقرَّ وآمن بأنه واحد، وتوحد الله بربوبيته وجلاله وعظمته: تفرد بها "[١].

وفى التعريفات للجرجانى: " التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد " [٢]

كما جاء في لسان العرب: " التوحيد: الإيمان بأنَّ الله واحد لا شريك له، ومن صفاته: الواحد الأحد "[٣].

وهكذا يجد المتتبع لما جاء فى هذه المعاجم اللغوية وغيرها حول كلمة: (التوحيد) أنها تدور فى اللغة حول عدة معان هى: الانفراد، وعدم التعدد، والتفرد، وعدم المماثلة، وكذا الإيمان بالله وحده لا شريك له، والإقرار بأنه متفرد فى جلاله وعظمته سبحانه وتعالى، وكلها ترتبط بالمعنى الشرعي للتوحيد ارتباطاً وثيقاً.

ب- التوحيد فى الشرع:

أما التوحيد فى الشرع – وهو ما يهم[٤] الباحث هنا – فهو المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته، والتصديق بها ذاتاً وصفاتٍ

١- المعجم الوسيط : صـ ١٠١٦، ١٠١٧ .

٢ – التعريفات للجرجانى ص ٥٩.

٣- لسان العرب لابن منظور – باب الدال – مادة وحد (٣/ ٤٥٠)

٤- الباحث هنا لا يعنيه التوحيد بمعنى الفن المدون – أى المعنى الاصطلاحى – وهو : " علم يُقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية "، وإنما يعنيه التوحيد بمعناه الشرعى : وهو ما يرتبط بموضوع بحثه =

وأفعالاً[١].

وهناك تعريفات أخرى كثيرة لكنَّ هــذا التعريــف أراه – والله تعالى أعلم – أشملها وأوضحها.

ومن هذه التعريفات ما يلى:

- التوحيد شرعاً: " إثبات ذات غير مُشبهة للذوات ولا معطَّلة عــن الصفات"[٢].
- ويُعرف أيضاً بأنه: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يُتصور فــى الأفهام ويُتخيل فى الأوهام والأذهان، وهو ثلاثة أشياء:
معرفة الله تعالى بالربوبية ، والإقرار بالوحدانية، ونفــى الأنــداد عنه جملة[٣].
- ويُعرّف كذلك بأنه: أن تعلم أن الله عز وجل واحد لا ثانى له فى الأزل، وتفرد بذلك[٤].

=

ارتباطاً شديداً– يراجع فى تعريف التوحيد اصطلاحاً : المختار من شرح البيجورى على الجوهرة – صـــ١٣.

١– المرجع السابق نفسه – صـــ ١٣.

٢– المرجع السابق نفسه – صـــ ١٣.

٣– التعريفات للجرجانى – صـــ ٥٩.

٤– الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادى المتوفى: (٤١٥هـــ) صـــ ٦٥ – تحقيق : الدكتور فيصل بديرعون –ط جامعة الكويت ١٩٩٨م .

- كما يُعرّف بأنه: اعتقاد الوحدانية[١]، أو اعتقـاد أنَّ الله واحـد لا شريك له[٢].

٣- الفرق بين الوحدانية والتوحيد

المتأمل فيما سبق ذكره حول مفهومى (الوحدانية والتوحيد) يستطيع أن يدرك الفرق الواضح بينهما ، فالوحدانية: صفة ذاتيـة لله تعالى تعنى نفى التعدد عنه – سبحانه – فى ذاته وصفاته وأفعالـه، بينما التوحيد هو الإيمان الكامل والاعتقاد الجـازم بـذلك أى بأنـه سبحانه وتعالى " واحد فى ذاته لا قسيم له، وواحد فى صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد فى أفعاله لا شريك له "[٣].

١- الشامل فى أصول الدين لإمام الحرمين الجوينى – صـ ٣٥١ – مرجع سابق.

٢- رسالة التوحيد للإمام محمد عبده بن حسن خير الله المتوفى: (١٣٢٣هـ) – صـ ٥، ط دار الكتاب العربى – بدون تاريخ .

٣- الملل والنحل لأبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى (٤٢/١)، تحقيق : الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل – ط مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع بالقاهرة – بدون تاريخ .

وبتعبير آخر فإنَّ الوحدانية صفته تعالى والتوحيد حقه، ويؤيد ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن معاذ بن جبلﷺ قال قال النبى – ﷺ – « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد؟ » قال الله ورسوله أعلم. قال « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدرى ما حقهم عليه ؟». قال الله ورسوله أعلم. قال « ألا يعذبهم »[١].

وبالإضافة إلى هذا فإنَّ هناك من العلماء والباحثين من توسع فى المعنى الشرعى للتوحيد حتى جعله شاملاً لكل أصول العقيدة وأركانها من إلهيات، ونبوات، وسمعيات ومن ذلك قول بعضهم: " إن التوحيد شرعاً هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، الناشئ عن دليل بما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق الله تعالى، وما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق أنبيائه ورسله – عليهم الصلاة والسلام –

١- أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب "التوحيد"، باب : " ما جاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى "، (٢٧٥/٤) – برقم (٧٣٧٣) .

والاعتقاد بالسمعيات التى جاءوا بها، وإفـراد الله تعـالى بالعبـادة والقصد "[١].

وهذا أيضاً صحيح لأن الإيمان بوحدانية الله تعالى يقتضـى الإيمان بجميع أنبيائه ورسله الذين بعثهم لهداية خلقه، كمـا يقتضـى الإيمان بكل ما جاءوا به لا سيما الأمور الغيبية التـى لا تؤخـذ إلا بالسماع منهم عن طريق الوحى كأحوال القبر، وعلامات يوم القيامة وما فيه من أهوال، ويلحق بذلك كل ما لا يستقل العقل بإدراكه كالجن والملائكة وغير ذلك "[٢].

وعلى هذا فالوحدانية جزء من التوحيد لا تنفصل عنه بحال، بل هى أصله الأصيل وركنه الركين الذى تنبنى عليه كل قضايا التوحيد

١- الأدلة القرآنية على توحيد الله : دكتور / محمد أحمد محمد محمود صـ ٣٨ -، وهو موضوع رسالة ماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .

٢- العقيدة الدينية عند قدماء المصريين بين التوحيد والتعديد للباحث : صـ ٤٨ - وهو موضوع رسالة دكتوراه بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة عام (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) - بتصرف يسير.

ومسائله، ولذلك آثــرت اســتعمال مصــطلح " الوحدانيــة " علــى " التوحيد " فى عنوان هذا البحث وما تحته من مباحث ومطالب، لأن سورة الإخلاص ما نزلت فى الحقيقة إلا لتتحدث عن الله – جل شأنه – فى أخص صفاته، وهى صفة الوحدانية، مُثبتــة لهــا، ومقــررة لأصولها، ومُدللة عليها بأقوى دليل وأسطع برهان، مع الأخــذ فــى الاعتبار أنه ليس هناك فى الحقيقة ما يمنع من إطلاق الوحدانية على التوحيد باعتبارها أشرف أجزائه، أو إطلاق التوحيد على الوحدانيــة لأنه يشملها، وهذا ما سوف يتضح – بــإذن الله ومشــيئته – عنــد الحديث عن منهج سورة الإخلاص فى إثبات وحدانية الله تعالى فــى المبحث الثانى من البحث.



المبحث الأول

التعريف بسورة الإخلاص

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الترتيب المصحفى والنزولى للسورة.

المطلب الثانى: مكان نزول السورة وعدد آياتها.

المطلب الثالث: سبب نزول السورة.

المطلب الرابع: أسماء السورة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب السادس: مكانة السورة وأهم ما ورد فى فضلها.

المطلب السابع: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الأول

التعريف بسورة الإخلاص

تمهيد

من الأهمية بمكان أن نتعرف عن قرب على سورة (الإخلاص)، وأن ندرك أهميتها ومكانتها بين سور القرآن الكريم، وأن نستوعب أهدافها ومقاصدها، وصلتها بما قبلها من السور حتى يتسنى للقارئ الوقوف على حقيقة الدور الذى تقوم به السورة المباركة مع بقية سور القرآن وآياته فى إثبات عقيدة التوحيد التى هى جوهر الدين وأساسه، ومن ثمَّ إقامة الحجة على كل مخالف لهذه العقيدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفيما يلى تعريف بالسورة الكريمة.. وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الترتيب المصحفى والنزولى للسورة.

المطلب الثانى: مكان نزول السورة وعدد آياتها.

المطلب الثالث: سبب نزول السورة.

المطلب الرابع: أسماء السورة.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب السادس: مكانة السورة وأهم ما ورد فى فضلها.

المطلب السابع: مقاصد السورة وأهدافها.

المطلب الأول

الترتيب المصحفى والنزولى للسورة

إنَّ سورة الإخلاص من حيث الترتيب المصحفى هى السورة الثانية عشرة بعد المائة من سور القرآن الكريم، وقد وقعت فيه بعد سورة المسد وقبل سورة الفلق.

و" أما ترتيبها من حيث النزول فقد عُدَّت هذه السورة الثانية والعشرون فى عداد نزول السور كما يرى جمهور العلماء "[١]، و" قد نزلت بعد سورة الناس وقبل سورة النجم "[٢].

١- التفسير الوسيط للدكتور / محمد سيد طنطاوى - (٥٣٩/١٥) - ط . دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة - الطبعة الأولى - مارس ١٩٩٨م .

٢- البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى (المتوفى ٧٩٤هـ) - (١٩٣/١) - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط . دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه - الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

المطلب الثانى

مكان نزول السورة وعدد آياتها

سورة الإخلاص مكية فى قول جمهور المفسرين [١]، و" هو ما مروى عن ابن مسعود والحسن وعطاء، وعكرمة، وجابر.

ومدنية فى أحد قــولى ابــن عبــاس، وقتــادة، والضــحاك، والسِّدى"[٢].

١- ينظر تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم: الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى (المتوفى ٧٧٤هـ) - (٩٠٣/٤) - طبعة دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبى - بدون تاريخ، وتفسير أبى السعود المسمى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى (٩٥١هـ) (٢١٢/٣/٣) – ط. دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م)، ومفاتيح الغيب للرازى (٧٦٥/٣٢/١٦)، وتفسير النسفى المسمى: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): الإمام أبو عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى – (٢/٤/ ٣٨٣) – ط. دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابى الحلبى – بدون تاريخ.

٢- ينظر: تفسير القرطبى المسمى: : (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى): الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى المتوفى (٦٧١هـ)- (٧٥٨٩/١٠)- ط. دار الغد العربى – القاهرة – الطبعة الأولى (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م)، والسراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير : شمس الدين =

وأما عدد آيات هذه السورة الجليلة فهو: أربع آيات.

وعدد كلماتها: خمس عشرة كلمة.

وعدد حروفها: سبعة وأربعون حرفاً.[١]

=

محمد بن أحمد الخطيب الشربينى الشافعى المتوفى (٩٧٧هـ)- (٦٠٩/٤) - ط. مطبعة بولاق الأميرية - القاهرة.

١- تفسير الثعلبى المسمَّى : (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أبو إسحاق المتوفى(٤٢٧هـ) - (٣٣٠/١٠) - تحقيق : الإمام أبى محمد بن عاشور - ط . دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - بدون تاريخ .

المطلب الثالث

سبب نزول السورة

لقد ورد فى سبب نزول سورة الإخلاص عدة روايات، وهـــى وإن تعددت طرقها، واختلف رواتها إلا أنَّ مضمونها واحد، وهو أنَّ مشركى العرب، وبعض أهل الكتاب من اليهود والنصـــارى ســـألوا النبى ﷺ عن نسب الله عز وجل وصفته فأنزل الله السورة الكريمـــة رداً على سؤالهم " وفيما يلى طرف من هذه الروايات:

- عن أبي بن كعب ﷺ، أنَّ المشركين قالوا لرســـول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: {قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولـــم يولد، ولم يكن له كفواً أحد}[١].

- وعن ابن عباس – رضى الله عنهما –:" أَنَّ الْيَهُودَ جَـــاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّـــدُ، صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّـــهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، فَيَخْرُجُ مِنْهُ، وَلَمْ يُولَدْ، فَيَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

١- أخرجه الإمام أحمد فى مسنده – مسند الأنصار – حديث أبى العالية الرياحى عن أبى بن كعب – برقم (٢١٢١٩) – والترمذى فى سننه – في كتاب (تفسير القرآن)- باب (ومن سورة الإخلاص) رقم (٣٣٦٤) – وقال الألبانى : حديث صحيح .

كُفُوًا أَحَدٌ وَلا شَبَهٌ فَقَالَ: هَذِهِ صِفَةُ رَبِّي عَزَّ وَجَـلَّ وَتَقَـدَّسَ عُلُـوًّا كَبِيرًا"[١].

وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قـدم وفـد نجران فقالوا: صف لنا ربك أمن زبرجد، أو يـاقوت، أو ذهـب، أو فضة ؟

فقال صلى الله عليه وسلم: " إن ربى ليس من شيء لأنه خالق الأشياء " فنزلت: " قل هو الله أحد " ، قالوا: هو واحد وأنت واحد، فقال: " ليس كمثله شيء "

قالوا: زدنا من الصفة، فقال: " الله الصـمد " ، فقـالوا: ومـا الصمد ؟ فقال: " الذى يصمد إليه الخلق فى الحوائج "

فقالوا: زدنا، فنزل: " لم يلد " كما ولدت مريم، " ولم يولد " كما ولد عيسى، " ولم يكن له كفوًا أحد " يريد نظيرًا من خلقه " [٢]

١- أخرجه البيهقى فى كتابه: (الأسماء والصفات) – باب (جماع أبواب ما يجوز تسمية الله سبحانه ووصفه به) – رقم (٦٠٦) –وقال الألبانى : إسناده ضعيف.

٢ – أورده الإمام الرازى في مفاتيح الغيب: (١٦/ ٣٢ / ٧٦٧)، والإمام النيسابوري في تفسيره المسمى: (غرائب القرآن ورغائب الفرقان): نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابوري المتوفى (٨٥٠هـ) – (٦/ ٥٩٣، ٥٩٤) – تحقيق: الشيخ زكريا عمران، ط. دار الكتب العلمية – =

– وهكذا يبدو بوضوح شدة الارتباط بين السورة الكريمة فـــى جوهرها ومضمونها وبين تلك الروايات المذكورة فى سبب نزولهـــا، فالسورة بإيجاز شديد نزلت رداً وجواباً لمن قالوا للنبى ﷺ: " انســـب لنا ربك " أو " صف لنا ربك "، وبينت بجلاء – على وجازتها وقلـــة عدد آياتها – " أنَّ الله تعالى هو الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، المقصود على الدوام، الغنى عن كل ما سواه، المتنزه عـــن صـــفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة، وردَّت على النصـــارى القـــائلين بالتثليث، وعلى المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنـــين "[١]، بـــل وردَّت على كل من خالف عقيدة التوحيد من أهل العقائد الباطلة والنحل الفاسدة.

وفى هذا يذكر الإمام ابن كثير – رحمه الله – عـــن عكرمـــة قولَه: "لما قالت اليهود نحن نعبد عزيرا ابن الله، وقالت النصـــارى: نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان، أنزل الله على رسوله ﷺ " قـــل هو الله أحد " يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل " [٢].

=

بيروت – لبنان – الطبعة الأولى (١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م) ولم أعثر عليه في كتب الحديث المعتبرة.

١– صفوة التفاسير : الشيخ محمد على الصابونى – (٣/٥٩٤) – دار الصابونى بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ – ١٩٩٧م .

٢– تفسير ابن كثير (٤/٩١٠) – مرجع سابق.

المطلب الرابع

أسماء السورة

إنَّ المتأمل فى سور القرآن الكريم لا يجد سورة قــد تعــددت أسماؤها وكثرت مثل سورة الإخلاص، وهذا إن دلَّ فإنما يدل علـــى علو مكانتها، وعظم قدرها وشرفها، وسمو مقاصدها، وكما هو معلوم فإنَّ كثرة الأسماء دليل على شرف المسمَّى، ومن أسماء هذه السورة المباركة ما يلى:

١- **سورة الإخلاص:** وفى تسميتها بذلك أوجه كثيرة منها ما يلى:

- أنَّ فى قراءتها خلاصاً من عذاب الله.
- أنَّ فيها إخلاصًا لله من كل عيب ومن كل شريك وولد.
- أنَّها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي.[١]، ولا وعد ولا وعيد [٢]

١- تفسير الماوردي – النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى (٤٥٠هـ) (٣٧١/٦) – تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – ط . دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – بدون تاريخ– وتفسير النيسابورى (٥٩٤/٦) مرجع سابق.

٢- تفسير السمعانى المسمى : " تفسير القرآن " : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني – (٣٠٣/٦) – تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم – ط . دار الوطن – الرياض – السعودية .

بل ليس فيها شئ من أمر الدنيا والآخرة (١).

- كما ذُكر أنها سميت بسورة الإخلاص لما فيها من التوحيد (٢)، وذلك لأنَّ عقيدة التوحيد لايطلع على حقيقتها فى قلب العبد، ولا يعلم مدى إخلاصه لله فيها إلا الواحد الأحد جل فى علاه.

٢- **سورة " قل هو الله أحد "** كما هو مشهور.(٣)

٣- **سورة " الصمد "**:لأنها مختصة بذكره تعالى (٤)، والله عز وجل هو الذى " يُصمد إليه فى الحوائج، ويُقصد إليه فى الرغائب، إذ ينتهى إليه منتهى السؤدد " (٥).

٤- **سورة " التوحيد "**: وذلك لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده (٦)، وهناك اسمان للسورة الكريمة يلتقيان مع الاسم

١- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه : أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي - (٨٥٠٠/١٢) - ط . مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة - الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢- تفسير الألوسى : (٥٠٣/١٥) - مرجع سابق .

٣- المرجع السابق - (٥٠٣/١٥) .

٤- مفاتيح الغيب للرازى : (٧٦٨/٣٢/١٦).

٥- المقصد الأسنى - شرح أسماء الله الحسنى : للإمام الغزالى - صـ ٩٣ مرجع سابق.

٦- إعراب القرآن الكريم وبيانه : محى الدين بن أحمد مصطفى درويش (٦٢٠/١٠) - ط . دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص -سورية - دار اليمامة - دمشق - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ .

فى المعنى وهما: " التجريد والتفريد "، والأسماء الثلاثة التـــى هـــى التفعيل من جرّد، وفرّد، ووحدَّ تؤول إلى معنى واحد، وهو إخـــلاص الإله الحق مما يشوبه من فكرة اشتراك إله معه.(١)

٥- **سورة** " **التنزيل** ": لأنها أدت أكمل أغراضها بتنزيلها.(٢)

٦- **سورة** " **الأساس** ": لأن التوحيد أصـــل لســـائر أصـــول الدين.(٣)

٧- **سورة** " **الجمال** ": لدلالتها على جمـــال الله تعـــالى - أى اتصافه بالكمالات، وتنزيهه عن النقائص(٤)، و" لأنها هى التى حددت حددت حقيقة التوحيد .. فالإنسان فى هذا الكون عندما يعلم أنه عبـــد لإله واحد، وأنَّ الناس جميعاً سواسية أمام ذلك الإله، وأن ما يجـــرى عليه من أحكام مقصودة من الحاكم الأعلى، وأنَّ لها حكمـــة ســـواء جهلها أو عرفها .. فإنَّ الإنسان يستقبل كل مظاهر الوجود بالرضى، فينشأ جمال الوجود الذى بان للناس .. فكل شئ فى الوجود يعطيـــك

١- المختار من تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد متولى الشعراوى - (١٤٧/٣) - ط . مكتبة التراث الإسلامى - بدون تاريخ .
٢- إعراب القرآن الكريم وبيانه : (٦٢٠/١٠) - مرجع سابق .
٣- تفسير الألوسى : (٣٠٥/١٥) .
٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه - (٦٢٠/١٠) .

جمالاً ما دام ليس فى فى الوجود إلا يد الله سبحانه وتعالى، وليس هناك إله آخر ينازعه فيه ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1]"[2].

٨- سورة "النجاة ": لأنها تنجى قارئها عن التشبيه والكفر فى الدنيا، وعن النار فى الآخرة.

٩- سورة " الولاية ": لأنَّ من قرأها صار من أولياء الله، ولأنَّ من عرف الله على هذا الوجه فقد والاه.

١٠- سورة " النسبة ": لأنها وردت جواباً لسؤال من قال للنبى: " انسب لنا ربك " كما سبق بيانه.

١١- سورة " المعرفة ": لأنَّ معرفة الله تعالى لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة.[3]

يقول الشيخ الشعراوى – رحمه الله –: " أساس المعرفة أن تعرف أنّه إله واحد وتؤمن به، وبعد ذلك تأخذ المنهج من الذى آمنت به لأنه منهج سليم لا استدراك عليه " أ.هـ[4]

١- سورة الأنبياء – الآية رقم ٢٣ .
٢- المختار من تفسير القرآن للشعراوى (٣/ ١٥٧، ١٥٨) . بتصرف يسير.
٣- مفاتيح الغيب للرازى : (٧٦٧/٣٢/١٦) – بتصرف يسير .
٤- المختار من تفسير القرآن للشعراوى – (١٥٨/٣) – بتصرف .

١٢- سورة " المقشقشة ": يُقال: تقشقش المريض مما به – أى برؤ – فمن عرف سورة الإخلاص حصل له البرؤ من الشرك والنفاق، لأن النفاق مرض [١] وذلك كما فى قوله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[٢].

١٣- سورة " المعوِّذة ": لأنه يُتعوذ بها مع سورتى الفلق والناس، فقد ثبت فى صحيح البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – قالت " كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده. قالت عائشة فلما اشتكى كان يأمرنى أن أفعل ذلك به "[٣].

١٤- سورة " النور ": لأنها تُنوِّر القلب [٤]، ويسميها الشيخ الشعراوى أيضاً: سورة " نور القرآن " [٥]، ويرى – رحمه الله – أنَّ القرآن نفسه نور، وسورة الإخلاص هى نور النور، لأنه يضع المنهج المستضئ الذى إذا سلكه الإنسان يسير على بصيرة فإن سورة

١- مفاتيح الغيب للرازى : (٧٦٨/٣٢/١٦).

٢- سورة البقرة – الآية رقم ١٠ .

٣- أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب : "المرضى والطب" – باب "النفث فى الرقية" – رقم (٥٧٤٨) .

٤- السراج المنير : شمس الدين الشربينى – (٦١١/٤) – مرجع سابق .

٥- المختار من تفسير القرآن للشعرواى (١٦٠/٣) .

الإخلاص نور أقوى لأنها هى التى تربى العقيدة التـــى تأخــذ منهــا المنهج.[١]

– هذا وهناك أسماء أخرى كثيرة لسورة الإخـــلاص ذكرهـــا الإمام الرازى ضمن عشرين [٢] اسما عــدّها – رحمـــه الله – فـــى تفسيره كالمذكرة [٣]، والمحضـــرة [٤]، والمنفـــرة [٥]، والأمـــان [٦]، والمانعة [٧]،والبراءة [٨]، وكلها – على كثرتها – تــدور فـــى فلـــك التوحيد، ومعرفة حق الله تعالى على عباده، والردِّ على أهل الشـــرك والضلال فى كل زمان ومكان.

١– المرجع السابق – (١٦٠/٣) .
٢– انظر مفاتيح الغيب للرازى – (٧٦٩-٧٦٧/٣٢/١٦).
٣– المذكرة : لأنها تذكر العبد خالص التوحيد .
٤– المحضرة : لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت .
٥– المنفرة : لأن الشيطان ينفر عند قراءتها .
٦– الأمان : لأن فى قراءتها أماناً من عذاب الله تعالى .
٧– المانعة : لأنها تمنع عن العبد عذاب القبر ولفحات النيران .
٨– البراءة : لأنها براءة من الشرك – انظر فى كل هذه الأسماء : المرجع السابق – (٧٦٩-٧٦٨/٣٢/١٦).

المطلب الخامس

مناسبة السورة لما قبلها

إنَّ من يمعِنُ النظر فى سورة (الإخلاص)، وسورة (المسد) التى قبلها يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أنَّ الصلة بينهما قوية، وأنَّ التناسب بينهما واضح جليّ، وذلك لأن سورة (المسد) قد بيَّن الله تعالى فيها لنبيه الكريم محمد ﷺ عداوة الكافرين له حتى من أقرب الناس إليه – عمه أبو لهب وامرأته – وأنَّ سبب هذه العداوة من قِبَلهما وأمثالهما رفضهم – فى عناد – الإيمان بالله الواحد، وإصرارهم على ما هم عليه من الشرك والوثنية، وهذا ما ردَّت عليه سورة الإخلاص فى صراحة ووضوح، حيث بينت أنَّ العبودية الحقة إنما تكون لله الواحد الأحد، المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، الذى يفتقر إليه جميع الخلائق، ويقصدونه فى كل حوائجهم، ولا يحتاج هو إلى أحد ؛ لأنه – سبحانه – ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا هو طوق النجاة فى الدنيا والآخرة، وقد أكد على ذلك غير واحد من العلماء.

يقول ابن حيان فى البحر المحيط: " ولما تقدم فى سورة " تبت " عداوة أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عبَّاد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة – سورة الإخلاص – مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان،

والقائلين بالثنوية وبالتثليث، وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد " أهـ.[١]

- ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه: " التفسير القرآنى للقرآن ": " كانت عداوة أبى لهب وزوجه للنبىّ ﷺ، ممثلة فى عداوتهما لدعوة التوحيد التي كانت عنوان رسالة النبىّ - صلوات الله وسلامه عليه -، وكلمته الأولى إلى قومه، وقد ساقت هذه الكلمة أبا لهب وزوجه، ومن تبعهما فى جحود هذه الكلمة، والتنكر لها - ساقتهم إلى هذا البلاء الذي لقياه فى الدنيا، وإلى هذا العذاب الأليم فى جهنم المرصودة لهما فى الآخرة.

وسورة «الإخلاص» وما تحمل من إقرار بإخلاص وحدانية الله من كل شرك - هى مركب النجاة لمن أراد أن ينجو بنفسه من هذا البلاء، وأن يخرج من تلك السفينة الغارقة التي ركبها أبو لهب وزوجه، ومن اتخذ سبيله معهما من مشركى قريش، وها هو ذا النبي الكريم، يؤذن فى القوم، بسورة الإخلاص، ومركب الخلاص" اهـ [٢]
[٢]

١- البحر المحيط فى التفسير : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى (٧٤٥هـ) -(٧٥٠/١٠)- تحقيق: صدقي محمد جميل- ط. دار الفكر- بيروت -١٤٢٠هـ.

٢- التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم يونس الخطيب المتوفى (١٣٩٠هـ) - - (١٧١٠،١٧١١/١٦) - ط . دار الفكر العربي -القاهرة - بدون تاريخ .

أما الشيخ الشعراوى – رحمه الله – فقد طرح رؤية خاصة فى بيان وجه الصلة بين سورتى المسد والإخلاص، حيث ذكر أنَّ " هناك مناسبة فى مجئ سورة (الإخلاص) بعد سورة (تبت يدا أبى لهب وتب) كيف ؟ الحق سبحانه وتعالى حينما قال: " تبت يدا أبى لهب وتب " فهذا دعاء، والدعاء فى العادة إنما يكون من الداعى، يتوجه به إلى من يقدر على استجابة الدعوة، فهو دعاء ولكن حين يكون إخباراً من الله ؟ أنا أدعو الله أن يتب أبا لهب، وإذا كان الله هو الذى علمنى أن أقول هذا إذن فقد فعل، ولذلك قال: " تبت يدا أبى لهب وتب " .

وحتى يؤكد هذا المعنى جاء الحق بسورة " التوحيد أو الإخلاص " بعدها ليفيدنا فائدة، وهى أن الله الأحد هو الذى قال ذلك ولا شريك معه يرد هذا الكلام .. إذن فكأنَّ سورة الإخلاص جاءت بعد سورة (تبت يدا) لتدل على أنه حكم غير منقوض أبداً ؛ لأنه لا إله مع الله حتى ينقض على الله حكمه الذى قال (وتب) ".[1]

بل إنَّ هناك من العلماء من ذهب إلى أن سورة الإخلاص إنما جاءت بعد سورة (المسد) للوزان فى اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة (تبت).

– وهذا ما أشار إليه الإمام السيوطى فى كتابه: " أسرار ترتيب القرآن " لكنه مع ذلك كان له رأى آخر وهو أنَّ سورة الإخلاص متصلة فى الحقيقة بسورة (الكافرون) فى المعنى، وفى هذا يقول –

١– المختار من تفسير القرآن للشعراوى (١٢٢/٣) – بتصرف يسير .

رحمه الله – شارحاً رؤيته: " قال بعضهم: وضعت هاهنا – أي سورة الإخلاص بعد سورة المسد – للوزان في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة تبت ، وأقول: ظهر لي هنا غير الوزان في اللفظ: أن هذه السورة متصلة بـ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} في المعنى؛ ولهذا قيل: من أسمائها أيضًا: الإخلاص، وقد قالوا: إنها اشتملت على التوحيد، وهذه أيضًا مشتملة عليه؛ ولهذا قرن بينهما في القراءة في الفجر، والطواف، والضحى، وسنة المغرب..

وذلك أنه لما نفى عبادة ما يعبدون، صرح هنا بلازم ذلك، وهو أن معبوده أحد، وأقام الدليل عليه بأنه صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ولا يستحق العبادة إلا من كان كذلك، وليس في معبوداتهم ما هو كذلك.

وإنما فصل بين النظيرتين (الكافرون والإخلاص)بالسورتين (النصر والمسد) لما تقدم من الحكمة [1]، وكأن إيلاءها سورة تبت

١- وهى أنَّ الله تعالى لما قال فى سورة الكافرون :{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} كأنه قيل: يا إلهي، ما جزاء المطيع؟ قال: حصول النصر والفتح، فقيل: وما ثواب العاصي؟ قال: الخسارة في الدنيا، والعقاب في العقبى، كما دلت عليه سورة تبت – انظر أسرار ترتيب القرآن : الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى المتوفى (٩١١هـ)- (١/١٦٠) – تحقيق : الأستاذ : عبد القادر أحمد عطا – ط. دار الاعتصام – القاهرة بدون تاريخ.

ورد عليه بخصوصه.ا.هـ [١]

وهكذا كان التوحيد الخالص هو (بيت القصيد) فـــى حقيقـــة الصلة بين سورة الإخلاص وما قبلها، وإن تعددت فى ذلـــك أقـــوال العلماء واختلفت رؤاهم.

١- المصدر السابق (١/١٦٠، ١٦١) ، وانظر أيضاً : البرهان فى تناسب سور القرآن ويسمى (البرهان فى ترتيب سور القرآن) : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطى أبو جعفر المتوفى (٧٠٨هـ) - (١/٣٨٣-٣٨٥) - تحقيق : محمد شعبانى - ط . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

المطلب السادس

مكانة السورة وأهم ما ورد فى فضلها

تعد سورة الإخلاص من أعظم سور القرآن الكريم وذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله عز وجل، واتصافه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه – سبحانه وتعالى – عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة بأسمى صور التنزيه.

وقد وردت أحاديث كثيرة فى حق السورة الكريمة تعدد فضائلها، وتبرز مزاياها، وتعكس أهميتها ومكانتها بين السور.. ومن أهم فضائلها ما يلى:

١– **أنها موجبة لمحبة الله تعالى:** لأنها صفة الرحمن، فعن عائشة – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم ب(قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال « سلوه لأى شيء يصنع ذلك ؟ » فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبى ﷺ « أخبروه أن الله يحبه ».[1]

١– أخرجه البخارى فى صحيحه – في كتاب: (التوحيد) – باب(ما جاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله) –رقم (٧٣٧٥)، وأخرجه مسلم فى كتاب: (المساجد ومواضع الصلاة)– باب: (فضل قراءة قل هو الله أحد) – رقم ٨١٣ .



٢- أنها سبب فى دخول الجنة والفوز بقصورها:فعن أنس ﷺ كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به افتتح ب(قل هو الله أحد) حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك فى كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر فقال « يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة »، فقال إنى أحبها، فقال: « حبك إياها أدخلك الجنة»[١].

- وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن النبى ﷺ قال: من قرأ (قل هو الله أحد) حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة »، فقال عمر بن الخطاب إذن نستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ « الله أكثر وأطيب »[٢].

١- أخرجه البخارى فى صحيحه في كتاب: (الأذان) - باب: (الجمع بين السورتين فى الركعة) - رقم (٧٧٤).

٢- أخرجه الإمام أحمد في مسنده في كتاب: (مسند المكيين) - باب (حديث معاذ بن أنس الجهني رضى الله تعالى عنه) - (٣/ ٤٣٧)- رقم (١٥١٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير في كتاب: (العشرة المبشرون بالجنة) - باب: (معاذ بن أنس الجهني) - (٢٠/ ١٨٣) - رقم (٣٩٧)، =

٣- **أنها تعدل ثلث القرآن:**_فعن أبى سعيد الخــدرى ﷺ أنَّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جــاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأنَّ الرجل يتقالها فقال رســول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن »[١].

وفى بيان ذلك يقول الإمام القرطبى – رحمـــه الله – " قـــال بعــض العلماء: إنها عدلت ثلث القرآن لأجل هذا الاسم الذي هو الصمد، فإنه لا يوجد في غيرها من السور، وكذلك (أحد)، وقيل: إنَّ القرآن أنزل أثلاثاً، ثلثاً منه أحكام، وثلثاً منه وعد ووعيــد، وثلثــاً منــه أســماء وصفات، وقد جمعت " قل هو الله أحد" أحد الأثلاث، وهــو الأســماء والصفات ودلَّ على هذا التأويل ما في صحيح مسلم، من حديث أبي الدرداء

=

والهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب: (التفسير) – باب: (سورة قل هو الله أحد وما ورد فيها من الفضل)

– (٧/ ١٤٥) – رقم (١١٥٣٥) – قال الهيثمي: رواه الطبراني وأحمد وفى إسنادهما رشدين بن سعد وزبان، وكلاهما ضعيف.

١- أخرجه البخارى فى صحيحه – في كتاب (التوحيد) – باب: (ما جاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله) –رقم (٧٣٧٤)، كما أخرجه فى كتاب (الأيمان والنذور) – باب (كيف كانت يمين النبى صلى الله عليه وسلم) – رقم ٦٦٤٣، وفى كتاب: (فضائل القرآن) – باب: (فضل قل هو الله أحد) – رقم (٥٠١٣، ٥٠١٤) .

رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: " إنَّ الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعـل " قل هو الله أحد " جزءاً من أجزاء القرآن [١]." اهـ [٢]

– وهذا الرأى الأخير الذى ذكره الإمام القرطبى – رحمـه الله – واستشهد له بالحديث الشريف " إنَّ الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء..." إلخ هو ما أيده أيضاً وأكده الإمام النسفى – طيب الله ثراه – حيـث قال: " من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهى، وعلى القصص والمواعظ، وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضـمنت ثلث القرآن وفيه – أى فى قوله ﷺ: إنها لتعدل ثلث القرآن – دليـل شرف علم التوحيد، وكيف لا يكون كذلك، والعلم يشـرف بشـرف المعلوم، ويتضع بضعته، ومعلوم هذا العلم هـو الله وصـفاته، ومـا يجوز عليه وما لا يجوز عليه، فما ظنك بشرف منزلتـه، وجلالـة محله"[٣].

١– أخرجه مسلم فى صحيحه –فى كتاب: (صلاة المسافرين وقصرها) – باب: (فضل قراءة قل هو الله أحد) – رقم (٨١١) .

٢ – تفسير القرطبى: (١٠/ ٧٥٩٢) مرجع سابق.

٣– تفسير النسفي (٢/٤/٣٨٥) مرجع سابق.

وعلى أية حال فإنَّ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لاشتمالها على التوحيد الذى يمثل جزءاً من ثلاثة أجزاء اشتمل عليها القرآن الكريم، أو أنها تعدل ثلث القرآن فى الأجر والثواب لمن قرأها كما يرى بعض العلماء.[١]

٤- أنها مع المعوذتين خير ثلاث سور أُنزلت فى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن: وفى ذلك أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي أمامة الباهلي، عن عقبة بن عامر، قال: لقيت رسول الله ﷺ، فابتدأته، فأخذت بيده، قال: فقلت: يا رسول الله، ما نجاة المؤمن ؟ قال: يا عقبة، احرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.

قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني، فأخذ بيدي، فقال: يا عقبة بن عامر، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان العظيم ؟ قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك، قال: فأقرأني: " قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، ثم قال: يا عقبة، لا تنساهن، ولا تبت ليلة حتى تقرأهن، قال: فما نسيتهن منذ قال: لا تنساهن، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن.[٢]

١- انظر : صفوة التفاسير للصابونى - (٣/٥٩٦) - بتصرف .

٢- أخرجه أحمد في كتاب: (مسند الشاميين) - باب: (حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم) رقم (١٧٣٣٤)- وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث حسن، ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير - باب (العين) - رقم ٧٤٢ .

٥- أنها مع المعوذتين أو فاتحة الكتاب تحفظ قارئها من الشر وتكفيه بإذن الله:

فعن مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلى لنا فأدركناه فقال « أصليتم ». فلم أقل شيئا فقال « قل ». فلم أقل شيئا ثم قال « قل ». فلم أقل شيئا ثم قال « قل »، فقلت يا رسول الله ما أقول قال: « (قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء »[١].

كما روى البزار فى مسنده عن أَنَس بن مالك ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فقد أمنت من كل شيء إلاَّ الموت." [٢]

٦- أنه يُستشفى بها مع المعوذتين فى المرض:

١- أخرجه أبو داوود فى كتاب (الأدب) – باب (ما يقول إذا أصبح) – رقم (٥٠٨٢) – والترمذى في كتاب (الدعوات) باب: (في انتظار الفرج وغير ذلك) رقم (٣٥٧٥) – قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

٢- أخرجه البزار في مسنده، باب: (مسند أبى حمزة أنس بن مالك) رقم (٧٣٩٣) والهيثمى فى مجمع الزوائد في كتاب: (الأذكار) باب: (ما يقول إذا أوى إلى فراشه وإذا انتبه) رقم (١٧٠٣٠) وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه غسان بن عبيد وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وقد ثبت ذلك بفعل النبى ﷺ ففى صحيح البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ علـــى نفســه بالمعوذات وينفث[١]، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجـــاء بركتها ".[٢]

وفى رواية ثانية عند البخارى أيضاً عن عائشة – رضـــى الله عنها – أن النبى ﷺ كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليـــه بهـــن، وأمســـح بيـــد نفســـه لبركتها".[٣]

– والمراد بالمعوِّذات – كما يقول العلامة ابن حجـــر – : ســـورة الفلق والناس والإخلاص وهو الأولى.[٤]

١– النفث : شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل – انظر مختار الصحاح – باب: النون – صـــ ٦٧١.

٢– أخرجه البخارى فى كتاب (فضائل القرآن) – باب (فضل المعوذات) – رقم (٥١٥) .

٣– أخرجه البخارى فى كتاب: (الطب) – باب (الرقى بالقرآن والمعوذات) – رقم (٥٧٣٥) .

٤– فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى : (١٠/٢٠٥، ٢٠٦) – تحقيق : محب الدين الخطيب – ط . دار الريان للتراث – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـــ .

وقال ابن التين: " الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني ".[١]

وفائدة النفث التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء الذي ماسه الذكر كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر وقد يكون على سبيل التفاؤل بزوال ذلك الألم عن المريض كانفصال ذلك عن الراقي.[٢]

٧- _أنَّ الدعاء بها مستجاب لاشتمالها على اسم الله الأعظم:

فعن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: سمع النبى ﷺ رَجُلًا يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ".[٣]

١- المرجع السابق – (٢٠٧/١٠).

٢- المرجع السابق – (٢٠٨/١٠) .

٣- أخرجه ابن ماجة فى سننه في كتاب: (الدعاء) – باب:(اسم الله الأعظم) – (١٢٦٧/٢، ١٢٦٨)– وأبو داوود فى كتاب : (الصلاة) – باب (الدعاء) – (٨٠/٢) – رقم (١٤٩٣)، والترمذى فى كتاب (الدعوات) – باب (جامع الدعوات عن النبى ﷺ) –(٥١٥/٥) – رقم (٣٤٧٥)، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب، وقال الشيخ الألبانى : صحيح .

وهكذا تبوأت سورة الإخلاص بين سور القرآن الكريم المكانة السامية، والمنزلة العالية التى لا تدانيها منزلة، وما ذلك إلا لأنها سورة التوحيد التى بينت – فى دقة وإحكام – معالم التوحيد الصحيح، ووضحت أصوله وأركانه ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة.

يقول الإمام الرازى – رحمه الله – " إنَّ أعظم درجات العبد أن يكون قلبه مستنيراً بنور جلال الله وكبريائه، وذلك لا يحصل إلا من هذه السورة، فكانت هذه السورة أعظم السور، فإن قيل: فصفات الله أيضاً مذكورة في سائر السور، قلنا: لكن هذه السورة لها خاصية وهي أنها لصغرها في الصورة تبقى محفوظة في القلوب معلومة للعقول فيكون ذكر جلال الله حاضرا أبدا بهذا السبب، فلا جرم امتازت عن سائر السور بهذه الفضائل"[١].

ولعلَّ هذا كان هو السر فى اهتمام النبى ﷺ بها على نحو خاص، وحبه لقراءتها والعبد بها بصورة منتظمة فى بعض صلواته وأذكاره، وتعليم ذلك لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن ذلك قراءته ﷺ لها فى صلاة الوتر، فعن أبى بن كعب ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ فى الركعة الأولى من الوتر بـ (سبح

١- مفاتيح الغيب للرازى : (٧٧٠/٣٢/١٦) .

اسم ربك الأعلى) وفى الثانية بــ (قل يا أيها الكافرون) وفى الثالثــة بــ (قل هو الله أحد).[١]

وقراءته ﷺ لها فى السنة الراتبة لصلاتى الفجر والمغرب، وفى ذلك يقول ابن عمر – رضى الله عنهما – رَمَقْت النبــي ﷺ أربعــاً وعشرين مرة، أو خمساً وعشرين مرة، يقرأ في الركعتين قبل الفجر وبعد المغرب: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}.[٢]

وكذا قراءته لها مع سورة (الكافرون) فى ركعتى سنة الطواف خلف المقام كما ورد فى حديث جابر بن عبد الله ﷺ فى وصف حجة النبى ﷺ والذى جاء فيه على لسانه ﷺ (.. حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليــه السلام، فقرأ: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} ([٣]) ، فجعل المقــام

١- أخرجه النسائى في سننه فى كتاب: (قيام الليل وتطوع النهار) – باب (ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بن كعب في الوتر) –رقم ١٧٠٠، واللفظ له، وأبو داود في كتاب: (الصلاة) باب: (ما يقرأ في الوتر) رقم (١٤٢٣) ، والترمذى في سننه في كتاب: (الصلاة) باب: (ما جاء فيما يقرأ به في الوتر) رقم (٤٦٣) ، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

٢- أخرجه أحمد فى مسنده، باب: (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما) – رقم (٥٦٦٦) ، وقال عنه الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

٣ – سورة البقرة – آية ١٢٥.

بينه وبين البيت، فكان أبي يقول – ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ: كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون "[١].

فضلاً عن قراءته لها مع المعوذتين ثلاث مرات في أذكار الصباح والمساء، وقراءته لها مع المعوذتين كرقية شرعية عندما كان ﷺ يشتكى ويشتد به الوجع كما ذكرت آنفاً.

□

١- أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب (الحج)- باب: (حجة النبى ﷺ) – رقم (١٢١٨) .

المطلب السابع

مقاصد السورة وأهدافها

المتأمل فى سورة الإخلاص - بهدوء وروية - يلمح من وراء آياتها وكلماتها عدداً من المقاصد والأهداف التى ترمى السورة إليها، وتنشد إيصالها إلى كل من يستمع إليها أو ينظر فيها بعقل وبصيرة، حتى لا يكون هناك عذر أو حجة لمن يسقط فى هاوية الشرك والضلال فيكون كمن قال الله فيه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(1).

ومن أهم هذه المقاصد والأهداف ما يلى:

أولاً: إعلام جميع من يسأل عن نسبة الله تعالى، أو صفته، أو عن الله تعالى ما هو ؟ جوابه (2)

المتمثل فى قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

ثانياً: إثبات وحدانية الله تعالى بأوضح صورة وأوجز بيان.

١- سورة الحج – آية رقم ٣١ .

٢- انظر : تفسير القرآن العظيم المسمَّى : (تأويلات أهل السنة) لأبى منصور الماتريدي (٥٣٧/٤) – تحقيق : فاطمة يوسف الحنيمى ، ط . مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م) .

ثالثاً: إثبات صفات الكمال والجلال الواجبة لله تعالى، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة من صفات العجز والنقص.

رابعاً: خلوص القلب من كل شائبة تشوب التوحيد الخالص لله رب العالمين أو تشوش عليه، ومن كل تعلق بغير الله الواحد الأحد، المتفرد فى ذاته، وصفات كماله وجلاله، وجميع أفعاله، الحقيق وحده بالطاعة والعبادة، والخضوع والاستسلام.

خامساً: الرد على كل من خالف التوحيد الصحيح فأشرك مع الله غيره فى الاعتقاد أو العمل، أو نسب لله الولد كاليهود الذين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[1]، والنصارى الذين قالوا﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[2]، ومشركى العرب الذين زعموا أنَّ الملائكة بنات الله كما حكى القرآن ذلك عنهم فى قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[3].

سادساً: نفى الكفر بأنواعه الثمانية، وذلك " لأن قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ نفى الكثرة والعدد

وقوله: ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ وهو الذى يقصد فى الحوائج نفى القلة والنقص

١- سورة التوبة – آية رقم ٣٠ .
٢- سورة التوبة – آية رقم ٣٠ .
٣- سورة الزخرف – آية رقم ١٩.

وقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ نفى العلة والمعلولية، أي أن يكون تعالى علة لغيره، وأن يكون معلولًا لغيره

وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ نفى الشبيه والنظير".[١]

يقول صاحب بصائر ذوى التمييز مشيراً إلى ذلك: " معظم مقصود السورة: بيان الوحدانية، وذكر الصمد، وتنزيه الحق من الولد والوالد والولادة، والبراءة من الشرك والشريك فى المملكة " أ.هـ[٢]

ويقول البقاعى فى نظم الدرر: " مقصودها – أى سورة الإخلاص – بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص فى التوحيد بإثبات الكمال، ونفى شوائب النقص والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللجوء والاعتماد فى جميع الأحوال " أ.هـ[٣]

١- أرجوزة جوهرة التوحيد – (١٣٣/١) .

٢- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى المتوفى (٨١٧هـ) – (٥٥٣/١) –تحقيق : الأستاذ محمد على النجار – ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – الطبعة الثانية – غرة جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ –١٩٨٦.

٣- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى المتوفى (٨٨٥هـ) –(٥٧٥/٨) – تحقيق : عبدالرازق غالب المهدى – ط . دار الكتب العلمية – بيروت – (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

المبحث الثانى
منهج سورة الإخلاص فى إثبات وحدانية الله تعالى

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اتصافه تعالى بالأحدية ودلالة ذلــك علــى وحدانيته.

المطلب الثانى: اتصافه تعالى بالصمدية ودلالة ذلك علــى وحدانيته.

المطلب الثالث: نفي الوالدية والمولودية عــن الله تعــالى ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الرابع: نفــى المماثلة عن الله تعالى ودلالة ذلــك على وحدانيته.

المبحث الثانـى

منهج سورة الإخلاص فـى إثبات وحدانية اللّه تعالى

تمهيد

لقد رسمت السورة الكريمة – على وجازتها وقلة عدد آياتها وكلماتها – منهجًا واضحًا في إثبات وحدانية الله تعالى، وقد اعتمدت في هذا المنهج على أمرين:

أولهما: الإثبات

والثاني: النفي

ففي جانب الإثبات تكفل النصف الأول من السورة – وهو قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ بإثبات وحدانية الله تعالى ذاتًا وصفات وأفعالًا، وكذا سائر صفات الكمال والجلال التي تليق بذاته المقدسة، وفي جانب النفي تكفل النصف الثاني منها – وهو قوله عز وجل: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ بتنزيهه سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به من صفات العجز والنقص، فنفت عنه الوالدية والمولودية، كما نفت عنه مطلق المشابهة والمماثلة، لأنه سبحانه "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ "[١]من كل الوجوه.. وهذا ما سوف يتضح بمشيئة الله تعالى من خلال المطالب الآتية:

---

[١] ـــ سورة الشورى أية ١١.



المطلب الأول: اتصافه تعالى بالأحدية ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الثاني: اتصافه تعالى بالصمدية ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الثالث: نفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الرابع: نفي المماثلة عن الله تعالى ودلالة ذلك على وحدانيته.

المطلب الأول

اتصافه تعالى بالأحدية ودلالة ذلك على وحدانيته

قبل الحديث عن " الأحدية " ومعناها في حقه تعالى، ودلالتها على وحدانيته أود أن أشير بإيجاز إلى أن كلمة " أحد " قد وردت في نهاية الآية الأولى من سورة الإخلاص في قوله جل شأنه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ بعد كلمات ثلاث هي " قل "، و " هو "، ولفظ الجلالة "الله"، وكلها في حقيقة الأمر تؤكد أحديته تعالى وتؤسس لها.

فكلمة "قل" كما يذكر الإمام الرازى تبين أن النظم – القرآنى – ليس في مقدوره[١] ﷺ ، لأنه ليس من عنده – صلوات الله وسلامه عليه – وإنما تلقاه وحيًا خالصًا من عند الله تعالى، وكلف بتبليغه كما تلقاه ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٖ ﴾[٢]

ولذلك فهو ملتزم تمام الالتزام بكل كلمة، بل بكل حرف يبلغه عن ربه عز وجل حتى كلمة "قل" التي بدأت بها الكثير من نصوص

١- مفاتيح الغيب للرازى (١٦/ ٣٢/ ٧٧١) .

٢ – سورة يونس: الآية ١٥ .

القرآن وآياته، ومنها هذه الآية الكريمة التي بدئت بها سورة الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

وهذا إن دل فإنما يدل على أن مصدر التلقي للنبي ﷺ واحد، وهو الله جل وعلا، كما يدل على أن القرآن الكريم قد احتفظ بالتعابير الدالة على حرفيته مثل "قل" و "نبيء" و "أنذر".. إلخ، وأن الرسول ﷺ لا يملك أن يغير فيه حرفًا واحدًا.

يقول ابن رجب رحمه الله:

"قل" هذا افتتاح للسورة بالأمر بالقول كما في المعوذتين وسورة الجن، وقد سئل النبي ﷺ عن المعوذتين فقال: " قيل لي فقلت " [١]

وذلك إشارة منه إلى أنه ﷺ مبلغ محض لما يوحى إليه، ليس فيه تصرف لما أوحاه الله إليه بزيادة ولا نقص، وإنما هو مبلغ لكلام ربه كما أوحاه إليه، فإذا قال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ كان امتثالًا للقول الذي قيل له بلفظه لا بمعناه" اهـ. [٢]

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: (تفسير القرآن) باب: (سورة الفلق) رقم (٤٩٧٦) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

٢ - روائع التفسير المسمى : الجامع لتفسير الإمام زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحسن السلامى البغدادى الحنبلي المتوفى (٧٩٥هـ)ـ (٢ / ٦٦٤) جمع وترتيب :أبو معاذ طارق بن عوض بن عوض الله بن محمد – ط . دار العاصمة – الرياض– الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

أما الضمير "هو" في قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ﴾ فقد اختلف العلمـاء في تفسيره وبيانه

- فمنهم من قال هو للشأن، أي الشأن والحديث، ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وهذا هو قول جمهور النحاة.

– ومنهم من قال: إن المراد به هذا الذي سألتم عنه ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قاله الزجاج وهو قريب من سابقه – أي أنه ضمير عائد على ما يفهم من السياق الوارد في أسباب النزول المتعلقة بالسورة الكريمة.

– ومنهم من قال:هو كناية عن الله (١)

– ومنهم من قال: هو اسم الله الأكبر، وذلك يخرج على وجهين:

أحدهما: أنه هو بذاته، وهوية كل من سواه لما هو يكون محتملًا للتلاشي والوجود إلا هو سبحانه لم يزل ولا يزال هوليس كمثله شيئ على ما اقتضى بيان وحدانيته في هذه السورة، وعلى ذلك قيل: هو الأحد بذاته،المنشئ أحدية كل الآحاد، المتعالي عن كل معاني أحدية من سواه.

---

١ – تفسير النيسابوري (٦ / ٥٩٥)، ومفاتيح الغيب (١٦ / ٣٢ / ٧٧٢)، والدر المصون في علم الكتاب المكنون . أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي المتوفى (٧٥٠ هـ) (١١ / ١٤٩) – تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط – ط . دار القلم – دمشق.

والثاني: أن تكون إضافته إلى اسمه الذي لا يحتمل اللسان، وهو الذي لم يطلع عليه الخلائق، وهو الذي يراد به في الدعاء، باسمك الذي من سألك به أعطيته، ومن دعاك به أجبته، فيكون السؤال مما يكنى عنه من الوجه الذي ذكرت لا أن يسعه اللسان أو يحتمل الطوق التفوه به تعالى.

والتأويل الأول أقرب إلى الأفهام وأحق أن يكون على ذكر من يقتضى عنه السؤال.[١]

ومهما يكن من أمر فإن أكثر العلماء [٢] على أن "هو" في الآية ضمير الشأن والأمر ويراد به التعظيم والتفخيم، وعلى هذا فـ "هو" مبتدأ والجملة التي بعده خبر، وهي مفسرة له.

يقول العلامة أبو السعود: " الضمير للشأن، ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره: الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد، وإليه يشير كل مشير، وإليه يعود كل ضميركما ينبئ عنه اسمه الذي أصل القصد.

---

١ – تفسير القرآن العظيم لأبي منصور الماتريدى (٥ / ٥٣٧، ٥٣٨) – مرجع سابق.

٢ – انظر: التسهيل لعلوم التنزيل . أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى (٧٤١هـ) – تحقيق الدكتور عبدالله الخالدى (٣ / ٣٧٢) ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، وتفسير النفسي (٢ / ٤/ ٣٨٣)، والمختار من تفسير الشعراوي (٣ / ١٦٤، ١٦٥).



والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير.

فإن الضمير لا يفهم منه أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبًا لما أمامه مما يفسره، ويزيل إبهامه، فيتمكن عند وروده له فضل تمكن" اهـ. [١]

ويقول العلامة الرازي مبيناً دلالة ضمير الشأن (هو) على وحدانية الله تعالى في قوله جل وعلا: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾اعلم أن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ألفاظ ثلاثة، وكل واحد منها إشارة إلى مقام من مقامات الطالبين

المقام الأول: مقام المقربين وهو أعلى مقامات السائرين إلى الله، وهؤلاء هم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي، فلا جرم ما رأوا موجودًا سوى الله، لأن الحق –سبحانه – هو الذي لذاته يجب وجوده، وأما ما عداه فممكن لذاته، والممكن لذاته إذا نظر إليه من حيث هو كان معدومًا، فهؤلاء لم يروا موجودًا سوى الحق سبحانه.

وقوله تعالى: "هو" – في الآية التي معنا – إشارة مطلقة، والإشارة وإن كانت مطلقة إلا أن المشار إليه لما كان معيناً انصرف ذلك المطلق إلى ذلك المعين، فلا جرم كان قولنا "هو" إشارة من

---

١ – تفسير أبي السعود (٣ / ٩ / ٢١٢) مرجع سابق.

هؤلاء المقربين إلى الحق سبحانه، فلم يفتقروا في تلك الإشارة إلى مميز، لأن الافتقار إلى المميز إنما يحصل حين حصل هناك موجودان.

وقد بينا أن هؤلاء ما شاهدوا بعيون عقولهم إلا الواحد فقط، فلهذا السبب كانت لفظة "هو" كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء"

أما المقام الثاني: فهو مقام أصحاب اليمين وهو دون المقام الأول، وذلك لأن هؤلاء شاهدوا الحق موجودًا، وشاهدوا الخلق أيضًا موجودًا فحصلت كثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن "هو" كافيًا في الإشارة إلى الحق – بالنسبة لأصحاب هذا المقام – لذلك كان لا بد هناك من مميز به يتميز الحق عن الخلق، فهؤلاء احتاجوا إلى أن يقرنوا لفظة "الله" بلفظة "هو" فقيل لأجلهم ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ لأن الله هو الموجود الذي يفتقر إليه ما عداه، ويستغني هو عن كل ما عداه.

وأما المقام الثالث : فهو مقام أصحاب الشمال وهو أخس المقامات، وهم الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد، وأن يكون الإله أكثر من واحد فقرن لفظ الأحد بما تقدم ردًا على هؤلاء وإبطالًا لمقالتهم فقيل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ اهـ. [١]

ومهما يكن من أمر فإنه يفهم من كلام العلامة الرازي رحمه الله وهو يتحدث عن مقام المقربين، أن ضمير الشأن "هو" في الآية

---

١ – مفاتيح الغيب للرازي (١٦ / ٣٢ / ٧٧٣ / ٧٧٤).

التي بين أيدينا – بالنسبة لأصحاب هذا المقام – كان كافيًا في الإشارة إلى الحق سبحانه وتعالى، وفي حصول معرفتهم به تمام المعرفة.

وأما لفظ الجلالة (الله) الذي هو علم على الذات المقدسة فمعناه وكل ما يتعلق به من خصائص،فيدل دلالة كاملة على وحدانية الله تعالى وما تقتضيه من صفات الكمال والجلال لله عز وجل.

يقول العلامة القرطبي: " (الله) هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء:

إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن ولم يجمع وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[١] أي من تسمى باسمه الذي هو (الله) ؟ فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه، وقيل: معناه واجب الوجود، الذي لم يزل ولا يزال والمعنى واحد " اهـ.[٢]

"ولا يطلق هذا الاسم الجليل إلا على المعبود بالحق بخلاف الإله، فإنه يطلق على المعبود بحق وبغير حق.

---

١ – سورة مريم: الآية ٦٥.

٢ – تفسير القرطبي (١/ ١٤٩).

- وهو أيضًا الاسم الذي عرف به تعالى عند المشركين كما قال جل شأنه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (١)

وقد اختص هذا الاسم الكريم من بين الأسماء الحسنى بأنه يوصف ولا يوصف به كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢)

وهو عربي عند جمهور العلماء، وأكثر اللغويين والفقهاء والأصوليين على أنه أصل بنفسه غير مأخوذ من شيء فكما أن ذاته تعالى لا يحيط بها شيء، ولا ترجع إلى شيء فكذا اسمه سبحانه لا يرجع إلى شيء.

-ولا يجوز حذف الألف واللام من الاسم الجليل لأنه من بنية الكلمة بدليل دخول حرف النداء على اللفظ الكريم، فإن حروف النداء لا تدخل على الألف واللام إذا كانت للتعريف، وإلى هذا ذهب الإمام

---

١ - سورة العنكبوت: الآية ٦١.

٢ - سورة الحشر: الآيات من ٢٢- ٢٤.

الشافعي وأبو المعالي الجويني والخطابي والغزالي، وهو مروي عن سيبويه والخليل وغيرهم" [١]

وهكذا يبدو بوضوح مدى دلالة الكلمات الثلاث "قل" و "هو" ولفظ الجلالة "الله" على وحدانية الله تعالى، ولذلك كان من المناسب أن يأتي بعدها مباشرة اتصافه تعالى بالأحدية في قوله عز وجل﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾وهذه الأحدية هي محور حديثي في السطور التالية بعون الله وتوفيقه، وذلك على النحو التالي:

١-أصل كلمة (أحد):

أكثر العلماء على أن أصل (أحد) (وحد) إلا أنه قلبت الواو همزة للتخفيف [٢]، أو لكونها طرفًا.[٣]

-وقيل (أحد) من (واحد) فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان، لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت إحداهما تخفيفًا. [٤]

---

١ – انظر: تفسير القرطبي (١/ ١٤٩، ١٥٠)، وتفسير أبي السعود (١ / ١٠، ١١)، وتفسير ابن كثير (١ / ٣١– ٣٣)، وتفسير النسفي (١/ ٤)، والسراج المنير (٦/١).

٢ – انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٤، ومفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٧٧٢/٣٢)، وتفسير القرطبي(٧٥٨٩/١٠)، وتفسير الآلوسي (٩٠٥/١٥).

٣ – تفسير النسفي (٢ / ٤ / ٣٨٣).

٤ – تفسير أبي السعود (٣ / ٩ / ٢١٢).

- وقيل (أحد) من (أوحد) مثل أكبر، وإحدى مثل كبرى، فلما وقعا اسمين وكانا كثيري الاستعمال هربوا إلى الكسرة ليخف، وحذفوا الواو ليفرقوا بين الاسم والصفة، وذلك أن (أوحد) اسم وأكبر منه. [١]

٢- معنى كلمة (أحد) ومدلولاتها:

في معنى كلمة أحد ومدلولاتها وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى (واحد) وعلى هذا فهما مترادفان

- يقول العلامة الإمام البغوى رحمه الله:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾أي (واحد) ولا فرق بين الواحد

والأحد، ويدل عليه قراءة ابن مسعود ﷺ ﴿ **قل هو الله الواحد** ﴾. **اهـ**[٢]

ويقول العلامة القرطبي:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾أي الواحد الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير، ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك ". **اهـ** [٣]

-ويقول ابن كثير عليه سحائب الرحمة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يعني الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير ولا نديد ولا شبيه،

---

١ – روائع التفسير لابن رجب الحنبلى: (٢ / ٦٦٦) – مرجع سابق.

٢ – تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل في تفسير القرآن . الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي
المتوفى (٥١٠هـ) – (٥ / ٣٣٠) – تحقيق عبدالرازق المهدي – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون تاريخ.

٣ – تفسير القرطبي (١٠ / ٧٥٨٩).



ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله " اهـ. [١]

-ويقول كذلك ابن حيان الأندلسي في البحر المحيط: " و(أحد) بمعنى (واحد) أي فرد من جميع جهات الوحدانية، أي في ذاته وصفاته لا يتجزأ " اهـ. [٢]

-وما ذكره هؤلاء الأئمة الأعلام وغيرهم قرره أيضًا أبو منصور الماتريدي رحمه الله في تفسيره وهو من أعلام علماء الكلام من أهل السنة حيث قال:

" قوله تعالى (أحد) يتوجه إلى (واحد)، ثم (واحد) اسم ينفي المثل في الإضافة كما يقال: هو واحد الزمان، وواحد الخلق على نفي التشبيه له عما أضيف إليه، والواحد - في حقه تعالى - هو الذي يستحيل أن تكون وحدانيته من وجه يحتمل ثانيًا، أو من وجه تعديل،

---

١ - تفسير ابن كثير (٤ / ٩١٠).

٢ - البحر المحيط في التفسير. أبو حيان الأندلسي (١٠ / ٥٧١) - مرجع سابق، وانظر كذلك: تفسير الزمخشري المسمى (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤ / ٨٢٣) - تحقيق عبدالرازق المهدي - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ.

هو (الواحد) الإله الخالق المتعالي عن معنى الأعداد والأنداد ". اهـ [١]

والثاني: أن الواحد الأحد ليسا اسمين مترادفين

قال الأزهري: " لا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى، لا يقال: رجل أحد، ولا درهم أحد، كما يقال: رجل واحد أي فرد، بل (أحد) صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شيء "[٢]

- ثم ذكر العلماء في الفرق بين (الواحد) و(الأحد) وجوهًا كثيرة منها ما يلي:

أولًا: أن (الواحد) يدخل في (الأحد) و(الأحد) لا يدخل فيه. [٣]

وعلى هذا فإن (أحد) في حقه تعالى أشمل وأعم من (واحد)، " وذلك لأنه يضيف إلى معنى (واحد) ألا شيء غيره معه وأنه ليس كمثله شيء"[٤]

ثانيًا: أن (أحد) في النفي نص في العموم بخلاف (واحد)

---

١ - تفسير القرآن العظيم لأبي منصور الماتريدي (٥ / ٥٣٩، ٥٤٠) - مرجع سابق.

٢ - مفاتيح الغيب للرازي (١٦ / ٣٢، ٧٧٢).

٣ - المرجع السابق نفسه (١٦/ ٣٢ / ٧٧٢).

٤ - في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب (٦ / ٢٠٠٢) - ط. دار الشروق- الطبعة الثالثة عشرة (١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ)

فإنه محتمل للعموم وغيره فتقول: ما في الدار (أحد) ولا يقال: بل اثنان، ويجوز أن يقال: ما في الدار (واحد) بل اثنان. [١]

ثالثًا: أن (الواحد) يستعمل في الإثبات، و(الأحد) في النفي، تقول في الإثبات: رأيت رجلًا واحدًا، وتقول في النفي: مارأيت أحدًا.[٢]

يقول ابن تيمية رحمه الله: " إن لفظ (الأحد) لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده، وإنما استعمل في غير الله في النفي، ولهذا لم يجيء في القرآن إلا في غير الموجب كقوله تعالى﴿ **فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾ [٣]وكقوله تعالى: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ [٤]وقوله: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ** ﴾[٥] وفي الإضافة كقوله تعالى: ﴿ **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ** ﴾[٦] وقوله تعالى:﴿ **جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ** ﴾[٧] . اهـ [٨]

---

١ - روائع التفسير للحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٦٦٤)، وكذا مفاتيح الغيب (١٦ / ٣٢ / ٧٧٢).
٢ - مفاتيح الغيب (١٦ / ٣٢ / ٧٧٣).
٣ - سورة الحاقة الآية ٤٧.
٤ - سورة الأحزاب الآية ٣٢.
٥ - سورة التوبة الآية ٦.
٦ - سورة الكهف الآية ١٩.
٧ - سورة الكهف الآية ٣٢
٨ - تفسير سورة الإخلاص . شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية المتوفى (٧٢٨هـ) - ص ٧٧، ٧٨ - ط دار الريان للتراث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

رابعًا: أن (أحد) لا يبنى عليه العدد ابتداء، فلا يقال: أحد واثنان، كما يقال: واحد واثنان، ولا يقال: رجل (أحد) كما يقال: رجل (واحد)، ولذلك اختص به تعالى [١]

خامسًا: أن (الواحد)المنفرد بذاته فلا يضاهيه أحد، و(الأحد) المنفرد بصفاته ونعوته فلا يشاركه فيها أحد. [٢]

سادسًا: أن (الواحد) من صفات الله تعالى معناه: أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء – أي غير الله تعالى بأنه واحد

أما (أحد) فلا ينعت به غير الله تعالى لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه. [٣]

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: " فوصف الله بأنه (أحد) معناه: أنه منفرد بالحقيقة التي لوحظت في اسمه العلم (الله) وهي الإلهية المعروفة، فإذا قيل: (الله أحد) فالمراد أنه منفرد بالإلهية، وإذا قيل (الله واحد) فالمراد أنه واحد لا متعدد، " فمن دونه ليس بإله، ومآل الوصفين إلى معنى نفي الشريك له تعالى في إلهيته". اهـ [٤]

---

١ – تفسير أبي السعود (٣ / ٩ / ٢١٢).
٢ – تفسير الآلوسي (١٥/ ٥١٠)، وكذا روائع التفسير لابن رجب الحنبلي (٢ / / ٦٦٤).
٣ – لسان العرب لابن منظور – باب الدال – مادة وحد: (٣/ ٤٥١).
٤ – التحرير والتنوير . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى (١٣٩٣هـ) – (٣٠ / ٦١٤) ٦١٤) – ط. دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

سابعًا: أن (أحد) من (وحد) بمعنى منفرد، و(وحد) صفة مشبهة مثل (حسن)، وصيغة الصفة المشبهة تفيد تمكن الوصف في موصوفها بأنه ذاتي له، فلذلك أوثر (أحد) في قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، أما (واحد) فهو اسم فاعل لا يفيد التمكن. [١]

ثامنًا: وفرق بعض فقهاء الحنفية بينهما فقال: الأحدية لا تحتمل الجزئية والعدد بحال، والواحد يحتملها لأنه يقال: مائة واحد، وألف واحدة، ولا يقال: مائة أحد، ولا ألف أحد. [٢]

وهذا ما فسره الشيخ الشعرواي – رحمه الله – بقوله: " فكلمة أحد هذه إذا نظرنا إليها وجدناها تتعلق لا بكونه واحدًا، فإن الشيء قد يكون واحدًا، ولكنك إذا نظرت إلى تركيبه وجدته مركبًا من أشياء، فكلمة (أحد) تنفي ذلك التركيب، أي أن الشيء قد يكون في ذاته واحدًا لا يوجد فرد ثان مثله إنما هو في ذاته مركب من أشياء، وما دام الشيء مركبًا من أشياء يبقى الكل محتاجًا لأجزائه، وكل جزء محتاج إلى أن ينضم إليه الجزء فيبقى فيه احتياج في الاسم، إذن فلما نقول (واحد) معناه نفى أن يكون هناك واحد مثله، إنما لم ينف عنه أنه هو في ذاته مركب، فإذن كلمة (الأحد) تعطى كلمة (واحد)، وواحد غير مركب، وهذا ما يبطل عقيدة التثليث عند النصارى، وهى الإيمان بـ (الآب والابن والروح القدس – إله واحد) لأن القول بهؤلاء الثلاثة

---

١ – المرجع السابق نفسه (٣٠ / ٦١٤).

٢ – روائع التفسير للحافظ ابن رجب الحنبلي (٢ / ٦٦٥).

وإن لم يعد خروجًا عن نطـاق (الواحديـة) التـى تقبـل التركيـب والتجزيء إلا أنه يعد خروجًا صريحًا عن نطاق (الأحدية) التى تنفى التركيب والتجزيء نفيًا قاطعًا ولا تقبله" [١] ولذلك يرى بعض العلماء – كما يذكر الشيخ عليه سحائب الرحمـة – أن قولـه تعـالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ إنما هو تفسير وبيان لكلمة (أحد)

فما دام (أحد) يلزمه أن يكون صمدًا

وما دام (أحد) يلزمه أنه لم يلد

وما دام (أحد) يلزمه أنه لم يولد

وما دام (أحد) يلزمه أنه لا نظير له " اهـ. [٢].

– ومهما يكن من أمر فإنه يتبين لى مما سبق ذكره حول معنـى (أحد) والفرق بينه وبين (واحد) ما يلى:

١- أنه لا يجمع بين هذين الوصفين، (الواحد الأحد) إلا الله عز وجل، وهما وإن كانا في الأصل من مادة واحدة هى الوحدة بمعنـى الانفراد، إلا أن (الأحدية) أبلغ وأشمل، وأتم وأكمل في الدلالة علـى وحدانية الله تعالى من (الواحدية)، وذلك لأن (الأحدية) تشمل معنـى

---

١ – المختار من تفسير القرآن الكريم للشيخ الشعراوي (٣/ ١٧١، ١٧٢) بتصرف يسير.

٢ – المرجع السابق: (٣/ ١٧٤).

(الواحدية)- التى هى الانفراد بالذات وعدم التعدد- وتضيف إليه سبحانه أنه ليس مركبًا من أجزاء على نحو من الأنحاء، وأنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله

يقول صاحب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: " (أحد) لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا يحصى، أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، ظاهر بالتعريف لكل أحد، باطن في ظهوره عن كل أحد " اهـ. (١)

٢- أن لفظ (أحد) إذا جاء مثبتًا غير مضاف لا يوصف به إلا الله عز وجل لخلوص هذا الاسم الشريف له جل جلاله وعز سلطانه، بخلاف (واحد) فإنه يوصف به الله تعالى كما يوصف به غيره.

٣- أن الله تعالى قد عبر عن كمال وحدانيته بلفظ معجز هو (أحد)، وذلك لأن هذا اللفظ الشريف – في حد ذاته – لا يقبل التعدد ولا الانقسام، وإذا كان ذلك كذلك فكيف بالله سبحانه وتعالى ذاته.

يقول العلامة الرئيس ابن سينا – رحمه الله – في معرض بيانه لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾قوله جل جلاله: (أحد) هو مبالغة في (الوحدة)، والمبالغة التامة في (الوحدة) لا تتحقق إلا إذا كانت (الواحدية) بحيث لا يمكن أن يكون أشد ولا أكمل منها، فقوله تعالى:

---

١ – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . أبو العباس أحمد بن محمد المهدى بن عجيبة الحسنى الأنجرى الفاسى الصوفى –المتوفى (١٢٢٤هـ)- (٨ / ٣٧٠) – ط دار الكتب العلمية بيروت – بدون تاريخ.

(أحد) دل على أنه (واحد) من جميع الوجوه، وأنه لا كثـرة هنـاك أصلًا، لا كثرة معنوية – أعنـى كثـرة المقومـات مـن الأجنـاس والفصول، أو كثرة الأجزاء العقلية من المادة والصورة – ولا كثـرة حسية بالقول أو بالفعل كما في الجسم، وذلك متضمن البيـان لكونـه منزهًا عن الجنس، والفصل، والمـادة، والأعـراض، والأبعـاض، والأعضاء، والأشكال والألوان، وسائر الوجوه النسبية، التى تتثلم [١] الوحدة الكاملة، والبساطة الحقة اللائقة بكرم وجهه وعز جلاله تعالى أن يشبهه شيء أو يساويه شيء " اهـ. [٢]

– وهذا ما قد فهمه المسلمون الأوائل – كما يقول الطاهر بـن عاشور – فقد روى أن بلالًا – رضي الله عنه – كان إذا عذب علـى الإسـلام يقول: أحد أحد، وكان شعار المسلمين يوم بدر، أحد أحد. [٣]

٣- الأحدية: جامعة لصفات الجلال الواجبة لله تعالى

---

١ – تتثلم: الثلمة: في الحافظ وغيره الخلل والجمع (ثلم) وثلمت الإناء كسرت حافته فانثلم وتثلم . انظر المصباح المنير ص ٨٣، ٨٤.

٢ – تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين للشيخ الرئيس أبي على الحسين بن عبدالله الشهير بابن سينا ص ٣٢– ٣٩ وهو مخطوط

بالمكتبة الأزهرية تحت رقم عام (٧٢٩٨) ورقم خاص (١١٦٧) وقد نسخه / محمد الحسينى الشافعى الأزهرى بتاريخ الاثنين الثانى من ذى الحجة عام ١٢٩٩هـ ، وانظر كذلك: مفاتيح الغيب للرازى (٢ / ٤ / ٥٧٠) عند تفسير قوله تعالى: " وإلهكم إله واحد " – البقرة: آية ١٦٣ .

٣ – التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ٦١٥).

المتأمل في أحديته تعالى في قوله:"ٱللَّهُ أَحَدٌ" يجد أنها جامعة للصفات السلبية التى تنفي عن الله تعالى ما لا يليق به كما أن لفظ الجلالة (الله) قبلها جامع للصفات الثبوتية التى تثبت لله تعالى كل كمال يليق بذاته المقدسة، وهذا بلا شك يعد من أعظم وجوه الدلالة على كمال وحدانيته عز وجل.

وفى هذا يقول العلامة البيضاوى رحمه الله: " و (أحد) يدل على مجامع صفات الجلال كما دل (الله) على جميع صفات الكمال، إذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود، والقدرة الذاتية، والحكمة التامة المقتضية للألوهية " اهـ[١]

ويقول الإمام الآلوسي كذلك: " وذكر بعضهم أن الاسم الجليل (الله) يدل على جميع صفات الكمال وهى الصفات الثبوتية، ويقال لها صفات الإكرام أيضًا، و (الأحد) يدل على جميع صفات الجلال، وهي

---

١ – تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضى ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى المتوفى (٧٩١هـ) – ص ٧٥٣ – ط. مكتبة الجمهورية العربية – ش الصنادقية بالأزهر بمصر.

الصفات السلبية، ويتضمن الكلام على كونهما خبرين الإخبار بكـــون المسئول عنه متصفاً بجميع الصفات الجلالية والكمالية " اهـــ (١)

-ويشير إلى ذلك أيضًا – في إيجاز – الإمام الزمخشري فـــي تفسيره حيث يقول:

" قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها، وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عليم، لأن الخلـــق يســـتدعى القـــدرة والعلم، لكونه واقعًا على غاية إحكام واتساق وانتظـــام، وفـــي ذلـــك وصفه بأنه حي سميع بصير، وقوله (أحد) وصف بالوحدانية ونفـــي الشركاء" اهـــ (٢)

وهذا ما قرره علماء الكلام من أهل السنة وأقاموا الدليل عليه:

يقول العلامة الرازي رحمه الله: " قولنا (الله) يدل على مجامع الصفات الإضافية الثبوتية، وقولنا (أحد) يدل على مجامع الصـــفات السلبية، فكان قولنا:﴿ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ تامًا في إفادة العرفان الـــذى يليـــق بالعقول البشرية.

وإنمـا قلنـا: إن لفظ (الله) يدل على مجامع الصـــفات الإضـــافية وذلك لأن الله هو الذى يستحق العبادة، واستحقاق العبادة ليس إلا لمن يكون مستبدًا بالإيجاد والإبداع، والاستبداد بالإيجاد لا يحصل إلا لمن

---

١ – تفسير الآلوسي (١٥/ ٥١١).

٢ – تفسير الزمخشري (٤ / ٨٢٣) مرجع سابق.

كان موصوفًا بالقدرة التامة، والإرادة النافذة، والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات، وهذه مجامع الصفات الإضافية.

– وأما مجامع الصفات السلبية [١] فهي (الأحدية)، وذلك لأن المراد من (الأحدية) كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة منزهة عن أنحاء التركيب، وذلك لأن كل ماهية مركبة فهي مفتقرة إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره فهو ممكن لذاته، فكل مركب ممكن لذاته، فالإله الذى هو مبدئ لجميع الكائنات ممتنع أن يكون ممكنًا، هو فى نفسه فرد أحد.

وإذا ثبتت الأحدية وجب ألا يكون متحيزًا، لأن كل متحيز فإن يمينه مغاير ليساره، وكل من كان كذلك فهو منقسم، فالأحد يستحيل أن يكون متحيزًا، وإذا لم يكن متحيزًا لم يكن في شيء من الأحياز والجهات، ويجب ألا يكون حالًا في شيء، لأنه مع محله لا يكون أحدًا، ولا يكون محلًا لشيء، لأنه مع حاله لا يكون أحدًا، وإذا لم يكن

---

١ – الصفات السلبية : هى الصفات التى تدل على سلب ما لا يليق به سبحانه وتعالى ، وهى ليست منحصرة على الصحيح وقد عدَّ العلماء منها خمسة وهى القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية ؛ لأنَّ ما عداها من نفى الولد والصاحبة والمعين وغير ذلك مما لا نهاية له راجع إليها. انظر : المختار من شرح البيجورى على الجوهرة للعلامة شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى – صـ٦٥.

حالًا ولا محلًا لم يكن متغيرًا البتة لأن التغير لا بد وأن يكون من صفة إلى صفة.

وأيضًا إذا كان أحدًا وجب أن يكون واحدًا إذ لو فرض موجودان واجبا الوجود لاشتركا في الوجوب، ولتمايزا في التعين، وما به المشاركة غير ما به الممايزة فكل واحد منهما مركب

فثبت أن كونه أحدًا يستلزم كونه واحدًا " اهـ. [١]

وفي عبارة أيسر يبين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كيف أن (الأحدية) في معناها متضمنة لمجامع الصفات السلبية الربانية فيقول: " وقد اصطلح علماء الكلام من أهل السنة على استخراج الصفات السلبية الربانية من معنى الأحدية، لأنه إذا كان منفردًا بالإلهية كان مستغنيًا عن المخصص بالإيجاد، لأنه لو افتقر إلى من يوجده لكان من يوجده إلها أول منه، فلذلك كان وجود الله قديمًا غير مسبوق بعدم ولا محتاج إلى مخصص بالوجود بدلًا من العدم، وكان مستغنيًا عن الإمداد بالوجود فكان باقيًا، وكان غنيًا عن غيره، وكان مخالفًا للحوادث، وإلا لاحتاج مثلها إلى المخصص فكان وصفه تعالى (أحد) جامعًا للصفات السلبية " اهـ. [٢]

ومن هنا كانت أحديته سبحانه وتعالى بهذا المعنى – الذى يتسم بالدقة والعمق – هي أحدية الوجود وأحدية الفاعلية، كما يقول

---

١ – مفاتيح الغيب للرازى (١٦ / ٣٢ / ٧٧٤، ٧٧٥).
٢ – التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٣٠ / ٦١٦).

صاحب الظلال: " فليس هناك حقيقة – بهذا الكمـــال المطلــق – إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقتـــه مـــن تلـــك الحقيقة الذاتية.

وهي من ثم أحدية الفاعلية، فليس سواه فاعلًا لشيء أو فاعلًا في شيء في هذا الوجود أصلًا، وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود، فإذا استقر هذا التفسير ووضح هذا التصور خلص القلب مـــن كـــل غاشية، ومن كل شائبة، ومن كل تعلق بغير هـــذه الـــذات الواحـــدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية.

ومتى استقر هذا التصور الذى لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنهـــا، وهـــذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه.. ووراءها الدرجـــة التى لا يرى فيها شيئًا في الكون إلا الله لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله.

كذلك سيصحبه نفى فاعلية الأسباب ورد كل شيء، وكل حدث، وكل حركة إلى السبب الأول الذى منه صدرت وبه تأثرت، وهذه هى الحقيقة التى عنى القرآن عناية كبيرة بتقريرها في التصور الإيمانى، ومن ثم كان ينحى الأسباب الظاهرة دائمًا ويصل الأمـــور مباشـــرة

بمشيئة الله،﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ** ﴾ [١]،﴿ **وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ** ﴾ [٢] ﴿**وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ [٣] وغيرها كثير.

وبتنحية الأسباب الظاهرة كلها ورد الأمر إلى مشيئة الله وحدها، تنسكب في القلب الطمأنينة، ويعرف – أى القلب – المتجه الوحيد الذى يطلب عنده ما يرغب، ويتقى ما يرهب " **اهـ**[٤]

---

١ – سورة الأنفال الآية ١٧.

٢ – سورة آل عمران الآية ١٢٦.

٣ – سورة الإنسان الآية ٣٠.

٤ – في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب (٦ / ٤٠٠٢، ٤٠٠٣) مرجع سابق.

المطلب الثانى

اتصافه تعالى بالصمدية ودلالة ذلك على وحدانيته

بعد أن دللت السورة الكريمة في أول آية منها ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ على كمال وحدانية الله تعالى بإثبات (الأحدية) له – جل في علاه – والتى تعنى الانفراد بالذات وعدم التعدد، وأنه تعالى ليس مركبًا من أجزاء بأى وجه من الوجوه، كما تعنى أنه سبحانه متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا شبيه له ولا نظير، ولا ند له ولا شريك – شرعت السورة في الآية الثانية منها ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ في إثبات الصمدية له عز وجل لتقرر بذلك أنه السيد الكامل في جميع صفاته وأفعاله، المستغنى عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، وأن من كان هذا شأنه فلا يكون إلا واحدًا أحدًا، ليس كمثله شيء، وفيما يلى بيان ذلك بحول الله وقوته.

أولًا: أصل كلمة (صمد) ومدلولها في اللغة:

جاء في لسان العرب:

– صمد، صمده يصمده صمدًا وصمدًا إليه كلاهما قصده، وصمد صمد الأمر، قصد قصده واعتمده، وبيت مصمد بالتشديد أى مقصود، وأصمد إليه الأمر، أسنده.

– والصمد بالتحريك، السيد المطاع الذى لا يقضى دونه أمر، وقيل: الذى يصمد إليه في الحوائج أى يقصد، قال

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد بعمر بن مسعود بالسيد الصمد

وأنشد الجوهرى

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

- والمصمد: لغة في المصمت وهو الذى لا جوف لـــه، وقيـــل الصمد الذى لا يطعم.

– والمصمد: الصلب الذى ليس فيه خور.

– وقال أبوعمرو: الصمد من الرجال الذى لا يعطش ولا يجوع في الحرب.

– والصمد، من صفاته تعالى وتقدس، لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره " (١)

وفى القاموس المحيط: " الصمد بالسكون: القصد، والصمد بفــتح المــيم: السيد لأنه يقصد، والدائم، والرفيع " اهـــ.(٢)

وفى المفردات: " الصمد: الذى ليس بـــأجوف، والـــذى لـــيس بأجوف شيئان: أحدهما لكونه أدون من الإنسان كالجمادات، والثـــانى أعلى منه وهو البارى– تعالى – والملائكة، والقصد بقوله تعالى:﴿ٱللَّهُ

---

١ – لسان العرب لابن منظور – باب الدال – مادة (صمد) – (٣/ ٢٥٨).
٢ – القاموس المحيط – باب الدال – فصل الصاد (١ / ٥٩٢).

ﵟٱلصَّمَدُﵞ تنبيهًا أنه بخلاف من أثبتوا له الإلهية، وإلى نحو هذا أشار بقوله: ﵟوَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَﵞ [١] اهـ. [٢]

وقال بعض المتأخرين من أهل اللغة: الصمد هو الأملس من الحجر الذى لا يقبل الغبار، ولا يدخله شيء، ولا يخرج منه شيء. [٣]

– ومما سبق يتبين أن كلمة (الصمد) في اللغة وإن كثرت معانيها وتعددت إلا أنها في الأساس تدور حول معنيين رئيسين:

أولهما: السيد الذى يقصد إليه في الوائج.

وثانيهما: الذى لا جوف له.

وهى بهذا يصح أن تطلق على الله تعالى كما يصح أن تطلق على غيره.

- يقول العلامة الرازى رحمه الله: " ذكروا في تفسير الصمد من الناحية اللغوية وجهين:

الأول: أنه فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج

---

١ – سورة المائدة: الآية ٧٥.

٢ – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى – كتاب الصاد – ص ٣٦٨.

٣ – مفاتيح الغيب للرازى (١٦ / ٣٢ / ٧٧٦).

والقول الثانى: أن الصمد هو الذى لا جوف له، ومنه يقال لسداد القارورة الصماد، وشيء مصمد أي: صلب ليس فيه رخاوة، وقال قتادة: وعلى هذا التفسير الدال فيه (أى في الصمد) مبدلة من التاء وهو المصمت " اهـ. [١]

ثانيًا: معنى الصمد في حقه تعالى وأقوال العلماء في ذلك:

ذكر العلماء في بيان معنى (الصمد) في حقه تعالى وجوها كما صرح الإمام الرازى طيب الله ثراه.

فـ " بعضها يليق بالوجه الأول، وهو كونه تعالى سيدًا مرجوعًا إليه في دفع الحاجات، وهو يشير إلى الصفات الإضافية.

وبعضها بالوجه الثانى، وهو كونه تعالى واجب الوجود في ذاته وفى صفاته، ممتنع التغير فيهما وهو إشارة إلى الصفات السلبية

وتارة يفسرون الصمد بما يكون جامعًا للوجهين

أما النوع الأول: فذكروا فيه وجوهًا:

الأول: الصمد هو العالم بجميع المعلومات لأن كونه سيدًا مرجوعًا إليه في الحاجات لا يتم إلا بذلك.

الثانى: الصمد هو الحليم لأن كونه سيدًا يقتضى الحلم والكرم

---

١ – المرجع السابق (١٦ / ٣٢ / ٧٧٦).

والثالث: وهو قول ابن مسعود والضحاك: (الصمد) هو السيد الذى قد انتهى سؤدده [١]

الرابع: قال الأصم: الصمد هو الخالق للأشياء، وذلك لأن كونه سيدًا يقتضى ذلك

الخامس: قال السدى: الصمد هو المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب

السادس: قال الحسين بن فضل البجلى: الصمد هو الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه

السابع: أنه السيد المعظم

الثامن: أنه الفرد الماجد لا يقضى في أمر دونه " [٢]

هذا ومن العبارات الجامعة في هذا المضمار ما ذكره العلامة ابن كثير رحمه الله في تفسيره عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: الصمد، هو السيد الذى قد كمل في سؤدده، والشريف الذى قد كمل في شرفه، والعظيم الذى قد كمل في عظمته، والحليم الذى قد كمل في حلمه، والعليم الذى قد كمل في علمه،

---

١ – السودد والسؤدد بالهمزة : السيادة، والمجد والشرف – انظر القاموس المحيط: باب الدال– فصل السين: (١ / ٥٨٥)،
والمصباح المنير ص ٢٩٤.
٢ – مفاتيح الغيب (١٦ / ٣٢ / ٧٧٧).

والحكيم الذى قد كمل في حكمته، وهو الذى قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تتبغى إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار " [١]

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله: " الصمد: هو الذى يصمد إليه في الحوائج، ويقصد إليه في الرغائب إذ ينتهي إليه منتهى السؤدد، ومن جعله الله تعالى مقصد عباده في مهمات دينهم ودنياهم، وأجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد أنعم عليه بحظ من معنى هذا الوصف

لكن الصمد المطلق هو الذى يصمد إليه في جميع الحوائج وهو الله تعالى " اهـ. [٢]

وأما النوع الثانى: وهو إشارة إلى الصفات السلبية فذكروا فيها وجوهًا:

الأول: الصمد هو الغنى على ما قاله ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾. [٣]

الثانى: الصمد الذى ليس فوقه أحد لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[٤] ولا يخاف من فوقه، ولا يرجو من دونه، ترفع الحوائج إليه.

---

١ – تفسير ابن كثير (٤ / ٩١٠).
٢ – المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام الغزالي ص ٩٣.
٣ – في الآية ٢٤ من سورة الحديد.
٤ – في الآية ١٨ من سورة الأنعام.

الثالث: قال قتادة: لا يأكل ولا يشرب ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.[1]

الرابع: قال قتادة: الباقى بعد فناء خلقه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.[2]

الخامس: قال الحسن البصرى: الذى لم يــزل ولا يــزال، ولا يجوز عليه الزوال، كان ولا مكان، ولا أين ولا أوان، ولا عرش ولا كرسى، ولا جنى ولا إنسي، وهو الآن كما كان.

السادس: قال أبي بن كعب: الذى لا يموت، ولا يــورث، ولــه ميراث السموات والأرض

السابع: قال يمان وأبو مالك: الذى لا ينام ولا يسهو.

الثامن: قال ابن كيسان: هو الذى لا يوصف بصفة أحد.

التاسع: قال مقاتل بن حيان: هو الذى لا عيب فيه.

العاشر: قال الربيع بن أنس: هو الذى لا تعتريه الآفات.

الحادى عشر: قال سعيد بن جبير: إنه الكامل في جميع صفاته وفى جميع أفعاله.

الثاني عشر: قال جعفر الصادق: إنه الذى يغلب ولا يغلب.

الثالث عشر: قال أبو هريرة ﷺ: إنه المستغنى عن كل أحد.

---

١ – في الآية ١٤ من سورة الأنعام.

٢ – الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة الرحمن.

الرابع عشر: قال أبو بكرالوراق: إنه الذى أيس الخلائق من الاطلاع على كيفيته (أى كنهه وحقيقته).

الخامس عشر: هو الذى لا تدركه الأبصار.

السادس عشر: قال أبو العالية ومحمد القرظى: هو الذى لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا
سيورث، ولا شيء يولد إلا سيموت " اهـ [١]

وتوجيه ذلك كما يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: " أن الولادة والتوليد إنما يكون من أصلين، وما كان عينًا قائمًا بنفسه من المتولدات فلا بد له من مادة يخرج منها، وما كان عرضًا قائمًا بغير فلا بد له من محل يقوم به

فالأول (وهو كون الولادة والتوليد من أصلين) نفاه بقوله أحد، فإن الأحد هو الذى لا كفؤ له ولا نظير فيمتنع أن يكون له صاحبة،

والتولد إنما يكون من شيئين وكونه تعالى أحدًا ليس أحد كفؤًا له يستلزم أنه لم يلد ولم يولد، لأن الوالد والولد متماثلان متكافئان وهو تعالى أحد فلا كفؤ له.

وأيضًا (فالتوليد) يحتاج إلى زوجة وهي مكافئة لزوجها من وجه، وذلك أيضًا ممتنع، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾[٢]

---

١ – مفاتيح الغيب (١٦/ ٣٢ / ٧٧٧، ٧٧٨) بتصرف يسير.

٢ – سورة الأنعام الآية ١٠١.

وأما الثانى: وهو انفصال المادة فنفاه – سبحانه – بأنه الصمد فلا يخرج منه شيء منفصل عنه " اهـ[١]

السابع عشر: قال ابن عباس: إنه الكبير الذى ليس فوقه أحد.

الثامن عشر: أنه المنزه عن قبول النقصانات والزيادات، وعن أن يكون موردًا للتغيرات والتبدلات، وعن إحاطة الأزمنة والأمكنة، والأنات والجهات.

أما النوع الثالث: وهو أن يحمل لفظ (الصمد) على الكل وهو محتمل، لأنه بحسب دلالته على الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب – أى الصفات السلبية – وبحسب دلالته على كونه مبدئًا للكل يدل على جميع النعوت الإلهية . [٢]

– وعليه فكل هذه الأقوال الواردة في تفسير معنى (الصمد) في حقه تعالى صحيحة – كما يفهم من الكلام السابق للإمام الرازى طيب الله ثراه – سواء ما كان منها متصلًا بالوجه الأول، وهو الصمد بمعنى السيد المقصود في الحوائج، أو ما كان متصلًا بالوجه الثانى،

---

١ – روائع التفسير لابن رجب الحنبلى (٢/ ٦٦٨، ٦٦٩) ، وتفسير القرآن العظيم: لأبى منصور الماتريدي (٥/ ٥٤٠)

٢ – مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٣٢/ ٧٧٨، ٧٧٩).

وهو الصمد بمعنى الذى لا جوف له، أو ما كان محمولًا على الكــل، وهذا ما عليه الكثير[١] من العلماء

يقول الإمام الخازن في تفسيره بعد أن عرض كثيرًا من الأقوال الواردة في تفسير (الصمد): " والأولى أن يحمل لفظ (الصمد) علـــى كل ما قيل فيه لأنه يحتمل له " اهــ. [٢]

-ويقول ابن عاشور رحمه الله: " وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى (الصمد)، وكلها مندرجة تحـــت هـــذا المعنـــى الجامع " اهــ.[٣]

ثالثًا: الصمد اسم جامع لصفات الكمال ونعوت الجلال:

---

١ - هناك من العلماء من يرجح تفسير الصمد بالسيد الذى يصمد إليه في الحوائج كالإمام القرطبى والإمام الآلوسى – انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٥٩٠)، وتفسير الآلوسى (٥/ ٥١٢). كما أن هناك من العلماء من يرجح تفسير الصمد بالذى لا جوف له ويعتبره أصلًا للتفسير السابق كابن تيمية رحمه الله –انظر: تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٦١ – والصواب – والله أعلم – أن الأقوال الواردة في تفسير (الصمد) كلها صحيحة ويشهد لها الاشتقاق، وكلها تندرج تحت الاسم الشريف (الصمد).

٢ - تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل في معاني التنزيل " : علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحى أبو الحسن المعروف بالخازن المتوفى (٧٤١هــ) – (٧/ ٣٢٠) – ط دار الفكر – بيروت – لبنان عام (١٣٩٩هــ – ١٩٧٩م)، و تفسير ابن كثير (٤/ ٩١١).

٣ - التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور (٣٠/ ٦١٧).

إن من يمعن النظر في معنى الصمد – في ضوء ما سبق – يدرك بوضوح أن (الصمد) اسم جامع لصفات الكمال ونعوت الجلال، وأنه بذلك تام الدلالة على كمال وحدانية الله عز وجل، وذلك من عدة وجوه:

١- **من حيث ما ذكر في تفسيره من أقوال،** فما قاله الإمام الرازى رحمه الله في معرض بيانه له خير شاهد على ذلك، حيث ذكر – رحمه الله – في كلامه أن الصمد على الوجه الأول، وهو تفسيره بكونه تعالى سيدًا مرجوعًا إليه في رفع الحاجات فيه إشارة إلى الصفات الثبوتية الواجبة لله تعالى كالقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة،.. الخ

وكلها صفات كمال وأنه على الوجه الثانى، وهو تفسيره بأنه هو الذى لا جوف له فيه إشارة إلى

الصفات السلبية كالقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس.. الخ وكلها نعوت جلال [١]

– وفي هذا نصوص لا حصر لها تؤكد ذلك بشكل أو بآخر منها:

---

١ – انظر مفاتيح الغيب للرازى (١٦/ ٣٢/ ٧٧٧) بتصرف، وانظر أيضًا: تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين للشيخ الرئيس ابن سينا ص ٤٢- ٤٥ – مرجع سابق.

ما أورده الإمام الرازى نفسه في نهاية ما أورده من أقوال العلماء في تفسير معنى الصمد حيث قال: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ يقتضى ألا يكون في الوجود صمد سوى الله، وإذا كان الصمد مفسرًا بالصمود إليه في الحوائج، أو بما لا يقبل التغير في ذاته لزم ألا يكون في الوجود موجود هكذا سوى الله تعالى فهذه الآية تدل على أنه لا إله سوى الواحد.

فقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إشارة إلى كونه واحدًا بمعنى نفى الشركاء والأنداد والأضداد " اهـ. [١]

ويقول الإمام أبو منصور الماتريدى طيب الله ثراه: " وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أخرج جميع من سواه حتى تحقق قصد الجميع من سواه بالحاجات إليه بالكون في الخلقة، وفى الصلاح بعد الكون، وفى الذى به الدوام بعد الوجود، والوجود بعد العدم، ما احتمل الوجود دونه ولا البقاء إلا به، أحاطت الحاجات بكل ليكون له الغنى عن الكل في الوجود والبقاء ليتحقق أنه الموجود بذاته، والباقى بذاته، والمتعالى بذاته عن معنى وجود غيره سبحانه " اهـ. [٢]

ويبين الحافظ ابن رجب رحمه الله مدى الارتباط الوثيق بين ما تقتضيه كل من الأحدية والصمدية الواجبتين لله تعالى من صفات

---

١ – مفاتيح الغيب (١٦/ ٣٢/ ٧٧٩)

٢ – تفسير القرآن العظيم لأبي منصور الماتريدى (٥/ ٥٤٠).

الكمال والجلال فيقول: " الصمدية تثبت الكمال المنـــافي للنقـــائص، والأحدية تثبت الانفراد بذلك، فإن الأحدية تقتضى انفراده بصـــفاته، وامتيازه عن خلقه بذاته وصفاته.

والصمدية إثبات جميع صفات الكمال ودوامها وقـــدمها، فـــإن السيد الذى يصمد إليه لا يكون إلا متصفًا بجميع صفات الكمال التى استحق لأجلها أن يكون صمدًا، وأنه لم يزل كذلك، ولا يـــزال، فـــإن صمديته من لوازم ذاته لا تنفك عنه بحال " اهـــ. [١]

ويصرح الطاهر بن عاشور باشتمال (الصمد) على الصـــفات المعنوية[٢] فضلًا عن صفات المعانى (الثبوتية) والصفات السلبية التى

---

١ – روائع التفسير للحافظ ابن رجب (٢/ ٦٧١).

٢ – الصفات المعنوية :قبل التعريف بالصفات المعنوية لا بد من التعريف بصفات المعانى لكونها وجودية وأصلًا للمعنوية، فالمعانى جمع معنى، والمعنى في اللغة : ما قابل الذات .

وفى الاصطلاح: كل صفة قائمة بموصوف زائد على الذات موجبة له حكمًا، وكما تسمى صفات المعانى تسمى الصفات الذاتية لأنها لا تنفك عن الذات، والصفات الوجودية لأنها متحققة باعتبار نفسها كما تسمى الصفات الثبوتية والإضافية.

أما الصفات المعنوية فهي صفات ملازمة لصفات المعانى فمن وجب له القدرة لزم منه كونه قادرًا، ومن وجب له العلم لزم منه كونه عالمًا، وهكذا، وقد عدها علماء الكلام سبعًا.. كونه قادرًا، وكونه عالمًا، وكونه مريدًا، وكونه حيًا، وكونه سميعًا، وكونه بصيرًا، وكونه متكلمًا، وقد ذكر الإمام البيجورى – رحمه الله – أن الصفات المعنوية ليست بصفات إنما هى أمور اعتبارية، =

سبق الإشارة إليها عند الرازى فيقول: ".. ويشمل هذا الاسم (الصمد) صفات الله المعنوية الإضافية وهى كونه تعالى حيًا، عالمًا، مريدًا، قادرًا، متكلمًا، سميعًا، بصيرًا، لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مصمودًا إليه " اهـ.[١]

ويقول العلامة الشعراوى – عليه سحائب الرحمة – شارحًا دلالة الصمدية على وحدانية الله ومفصلًا لها: " كلمة (الصمد) التى اختارها الحق سبحانه وتعالى تعنى أنه هو الذى يقصد إليه في الحوائج لماذا ؟ لقوته على إنفاذ المقصود من أجله، والقصد هذا إما اضطرارًا وإما اختيارًا، اضطرارًا كالأشياء المسخرة التى تستمد قوتها بقيومية الحق فيها، ليس بالخلق، لأننا قلنا إن الحق سبحانه وتعالى حينما خلق الأشياء لم يخلقها ثم انفلتت منه بل ظل مهيمنًا عليها، ويعطيها المدد بالقيومية، لأنه لولا القيومية تنتهى.

=

وهى عبارة عن الإخبار بأن المعانى قائمة بالموصوف ككونه قادرًا وكونه عالمًا ..، أى قيام القدرة والعلم بذاته تعالى. انظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام البيجورى ص ٧٦، ٩٣، وشرح الصاوى على جوهرة التوحيد للإمام الشيخ أحمد بن محمد المالكى الصاوى – المتوفى (١٢٤١هـ) – ص ١٦٨، ١٦٩ – تحقيق الدكتور عبدالفتاح البزم – ط دار ابن كثير –دمشق بيروت – الطبعة التاسعة (١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م).

١ – التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ٦١٧).

ثم أطلقت على المقصود اختيارًا أيضًا، ومعنى المقصود اختيارًا أبلغ من المقصود اضطرارًا لماذا ؟ لأن المختار عنده بديلات فهو يجد أن البديلات خانته ولا تؤديه مطلوبه، فهو إذن يلجأ إلى شيء لا بديل له حين يفزعه الخطب يصمد إلى الحق سبحانه وتعالى

إذن فقول الله سبحانه:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ صحح تصور العقيدة عن الحق سبحانه وتعالى، فما دام الله (واحد)، وليس هناك غيره، وما دام الله هو (الصمد) المقصود في الحوائج وليس له كفؤ يقوم بديله إذن يجب أن تلجأ إليه في كل أمورك، لأنه لا وجود على الحقيقة إلا وجوده، ولا فاعل على الحقيقة إلا هو " اهـ. [١]

٢- من حيث تعريف الصمد بأل دون (أحد):

يدل قوله تعالى: " الصمد " كذلك على وحدانية الله تعالى من حيث وروده معرفًا بأل دون قوله: " أحد " حيث أفاد التعريف بأنه سبحانه وتعالى الكامل فى صفات الصمدية المستلزمة لغناه عن كل ما سواه، وافتقار ما عداه إليه – جل وعلا– فى كافة حوائجهم وسائر شئونهم.

يقول ابن تيمية – رحمه الله – " أدخل اللام في (الصمد) ولم يدخلها في (أحد) لأنه ليس في الموجودات ما يسمى (أحدًا) في الإثبات مفردًا غير مضاف إلا الله تعالى.

---

١ – المختار من تفسير القرآن الكريم للشيخ الشعراوى (٣/ ١٧٦، ١٧٧) – بتصرف يسير.

وأما اسم (الصمد) فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين كما تقدم، فلم يقل: (الله صمد)، بل قال﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون سواه فإنه المستوجب لغايته على الكمال، والمخلوق وإن كان صمدًا من بعض الوجوه فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه، فإنه يقبل التفرقة والتجزئة، وهو أيضًا محتاج إلى غيره، فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله تبارك وتعالى.

وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه عن بعض، والله سبحانه هو الصمد الذى لا يجوز عليه شيء من ذلك، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء كما قال في آخر السورة: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ . " اهـ [١]

ويقول الحافظ ابن رجب فى إيجاز ووضوح: " قوله ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ولم يقل (الأحد) كما قال (الصمد) جوابه أن (الصمد) يسمى به غير الله فأتى فيه بالألف واللام ليدل على أنه سبحانه هو المستحق لكمال الصمدية، وأما الأحد فلم يتسم به غير الله فلم يحتج فيه إلى الألف واللام " اهـ. [٢]

---

١ – تفسير سورة الإخلاص للإمام ابن تيمية ص ٧٤، ٧٨.

٢ – روائع التفسير للحافظ ابن رجب (٢ / ٦٦٦).

هذا وهناك ملمح آخر يراه بعض العلماء وهو أن تعريف طرفى الجملة في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إنما هو لإفادة حصر الصمدية في حقه تعالى وحده [1]

وهكذا أفادت الصمد – معرفة بأل – بأنه سبحانه وتعالى وحده هو السيد الكامل في جميع صفاته وأفعاله، المقصود إليه في الحوائج، المستغنى عن جميع الخلائق

كما أفادت – بورودها في جملة معرفة الطرفين – حصر الصمدية في الله تعالى وحده وقصرها عليه.

٣- من حيث تكرير الاسم الجليل (الله) مع وصفه بالصمد، وتعرية الجملة عن العاطف:

إن تكرير لفظ الجلالة (الله) مع وصفه بالصمد في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إنما يشعر – كما يرى بعض المفسرين – أن من لم يتصف بالصمدية لا يكون جديرًا بالألوهية، كما أن تعرية الآية ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ عن العاطف إنما يشير إلى أنها كالدليل للآية السابقة عليها وهي قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ " أو نتيجة لها

---

١ – انظر: التفسير القرآنى للقرآن، للأستاذ عبدالكريم الخطيب (١٦ / ١٧١٣) ، وتفسير الآلوسي (٥/ ٥١٢)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوى (١٥ / ٥٤١) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠ / ٦١٨).

يقول العلامة البيضاوى مشيرًا إلى ذلك في إيجاز: " وتكريـــر لفظة (الله) للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الإلهية، وإخـــلاء الجملة – ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ – عن العاطف لأنها كالنتيجـــة للأولـــى أو الدليل عليها " اهـــ.[١]

ويقول العلامة أبو السعود أيضًا: " وتكريـــر الاســـم الجليـــل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية.

وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى حيـــث بـــين سبحانه أولًا: ألوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمـــال، ثـــم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه، وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصـــها، ثـــم صـــمديته المقتضـــية لاستغنائه الذاتى عما سواه، وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقًا للحق، وإرشادًا لهم إلى سننه الواضح " اهـــ. [٢]

– ويوضح الإمام الآلوسى ذلك بشيء من التفصيل فيقـــول: " وتكرار الاسم الجليل (الله) دون الإتيان بالضمير قيل للإشعار بأن من لم يتصف بالصمدية لم يستحق الألوهية، وقيل لأن تعليق (الصمد) ب (الله) يشعر بعلية الألوهية بناء على أنه في الأصل صفة، وإذا كانت الصمدية نتيجة للألوهية لم يستحق الألوهية من لم يتصف بها.

---

١ – تفسير البيضاوى ص ٧٥٣ – مرجع سابق.

٢ – تفسير أبي السعود ص (٣ / ٩/ ١١٢ /٢١٣).

وإنما لم يكتف بمسند إليه واحد لــ (أحد والصمد) وهوالاسم الجليل بأن يقال: (الله أحد الصمد) للتنبيه على أن كلًا من الوصفين مستقل في تعيين الذات.

وترك العاطف في الجملة المذكورة ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ لأنها كالدليل عليه- أي على ما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ – فإن من كان غنيًا لذاته، محتاجًا إليه جميع من سواه لا يكون إلا واحدًا، أو لأنها كالنتيجة لذلك بناء على أن الأحدية تستلزم الصمدية والغنى المطلق.

وبالجملة هذه الجملة ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ من وجه تشبه الدليل ومن وجه تشبه النتيجة فهى مستأنفة أو مؤكدة " اهــ. [١]

وهكذا دلت الصمدية بوضوح تام على أن الله وحده هو السيد الكامل في جميع صفاته وأفعاله، المستغنى بذاته عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه في وجوده وبقائه وسائر أحواله، وأن من كان هذا شأنه فلا يكون إلا واحدًا أحدًا متفردًا بالكمال والجلال والعظمة في ذاته وصفاته وأفعاله.

---

١ – تفسير الآلوسى (١٥ / ٥١٤) – بتصرف يسير.

المطلب الثالث

نفى الوالدية والمولودية عن اللّه تعالى ودلالة ذلك على وحدانيته

بعد أن انتهت السورة الكريمة في نصفها الأول من إثبات وحدانية الله تعالى من خلال اتصافه عز وجل بالأحدية والصمدية وحده دون سواه، وذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ شرعت السورة في النصف الثانى منها في التدليل على وحدانيته – سبحانه – بنفى النقائص عنه، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، وبدأت في ذلك بنفى الوالدية والمولودية عنه – عز وجل – وذلك وفقًا لمنهج الإثبات والنفي الذى اعتمدته السورة الجليلة في إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى.

وليس من شك في أن لنفي الوالدية والمولودية عنه سبحانه دلالة واضحة على ذلك

وهذا ما سيتضح بمشيئة الله تعالى من خلال العناصر الآتية:

أولاً:_المراد بنفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى

المتأمل في قوله عز وجل"﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ يدرك المعنى المراد منه بوضوح وهو أن الله تعالى " ليس له ولد ولا والد ولا

صاحبة " [١] لأن كل هذا إنما هو من صفات الحوادث، وهو في حقه تعالى محال.

- يقول العلامة الطبري رحمه الله: " وقوله﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يقول: ليس بفان لأنه لا شيء يلد إلا هو فان بائد، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول: وليس بمحدث لم يكن فان، لأن كل مولود فإنما وجد بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنه - تعالى ذكره - قديم لم يزل، ودائم لم يبد ولا يزول ولا يفنى" اهـ. [٢]

- ويقول الإمام السمرقندي في تفسيره: " قال عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يعنى لم يكن له ولد يرث ملكه، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ يعنى لم يكن له والد يرث عنه ملكه " اهـ. [٣]

- وفى توجيه نفى هذه الوالدية والمولودية عنه سبحانه وتعالى يقول الإمام أبو منصور الماتريدى رحمه الله: " الأصل أنه تعالى

---

١ - تفسير ابن كثير (٤/ ٩١١).

٢ - تفسير الطبرى المسمى: جامع البيان عن تأويل آى القرآن. الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى أبو جعفر الطبري - المتوفى (٣١٠هـ) (٢٤/ ٦٩٣) تحقيق: أحمد محمد شاكر - ط مؤسسة الرسالة - بدون تاريخ.

٣ - تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم . أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى (٣٧٣هـ) (٣/ ٦٠٨) تحقيق محمود مطرجى - ط دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ.

أعظم القول بالولاد ما عظم بجعل الشركاء، وذلك أن معنى الولاد أن يكون بجوهر من له ولد فيكون بذلك شريكًا، وذلك ينفى التوحيد.. وبعد فإن كلام العالم على الإشارة إلى آحاد متولد عن غيره، أو يتولد منه غيره، وهما أمران راجعان إلى ما عليه خلق هذا العالم، وقد ثبت تعاليه – سبحانه – عن جميع معانى غيره، إذ كل غير له بجميع معانيه حدث بعد أن لم يكن أتى عليه تدبير غيره، وجرى عليه سلطان تقدير غيره، والله تعالى لو كان يتوهم شيء من ذلك فيه يسقط له الألوهية، ويحقق له الحاجة إلى غيره، ويوجب جري تقدير سلطان غيره عليه " اهـ[١]

وكل ذلك في حقه تعالى محال، ومن ثم لزم التسليم بنفي الوالدية والمولودية عنه سبحانه لأنه الأول الذى لا ابتداء لوجوده، القديم الذى كان ولم يكن معه شيء غيره.

وبعبارة أوضح يقول العلامة النسفي رحمه الله: " قال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ **لأنه** لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا، وقد دل على هذا المعنى بقوله:﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾[٢] ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لأن كل مولود محدث وجسم، وهو قديم لا أول لوجوده، إذ لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا لعدم الواسطة بينهما، ولو كان حادثًا لافتقر إلى محدث وكذا الثانى والثالث فيؤدى إلى التسلسل وهو

---

١ – تفسير القرآن العظيم. أبو منصور الماتريدي (٥ / ٥٤١) بتصرف يسير.

٢ – سورة الأنعام الآية ١٠١.

باطل، وليس بجسم لأنه – أي الجسم – اسم للمتركب، ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جــزء إلهًـــا فيفسد القول به كما فسد بإلهين، أو غير متصف بها – أي بصـــفات الكمال – بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال " اهـــ. (١)

– ويقول ابن تيمية رحمه الله: " امتنع عليه – سبحانه وتعالى – أن يلد وأن يولد، وذلك أن الولادة والتولد لا يكون إلا من أصلين، وما كان من المتولد عينًا قائمة بنفسها فلا بد له من مادة تخرج منها، وما كان عرضًا قائمًا بغيره فلا بد له من محل يقوم به.

فالأول نفاه بقوله: (أَحَدٌ)، فإن الأحد هو الذى لا كفؤ لـــه ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة، والتولد إنما يكون بين شيئين قـــال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه – فإن انتفاء اللازم يدل علـــى انتفاء الملزوم – وبأنه خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له ليس فيه شيء مولود له.

والثاني: نفاه بكونه سبحانه﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وهذا المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من الأصلين كتولد الحيوان من أبيه وأمـــه، وكل ذلك ممتنع في حقه تعالى، فإنه﴿أَحَدٌ﴾فليس لـــه كفـــؤ يكـــون صاحبة ونظيرًا، وهو (صمد) لا يخرج منه شيء، فكل واحـــد مـــن

١ – تفسير النسفي (٢ / ٤ / ٣٨٤).
٢ – سورة الأنعام الآية ١٠١.

كونه (أحدًا) ومن كونه (صمدًا) يمنع أن يكون والدًا، ويمنع أن يكون مولودًا بطريق الأولى والأحرى " اهـ. (١)

وبهذا يتضح أنه لا يصح بحال أن يكون لله تعالى ولد، لأن الولد لا يكون إلا لمن له زوجة، والله تعالى لا زوجة له، لأنه سبحانه وتعالى لا يجانس، حتى تكون له من جنسه صاحبة – كما ذكر العلامة النسفي في كلامه سابقًا – كما لا يصح أن يكون له أب أو أم، لأن كل مولود حادث، والله تعالى أزلي قديم وبذلك " نفى الله عن نفسه إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذى لم يتقدمه والد كان عنه، وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون منه، ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفوًا أحد " (٢) هذا من جانب ومن جانب آخر " فإن من يصمد إليه لا يكون من حاله أن يلد، لأن طلب الولد لقصد الاستعانة به في إقامة شئون الوالد وتدارك عجزه، ولذلك استدل على إبطال قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ بإثبات الغنى في **قوله تعالى:** ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (٣)

فبعد أن أبطلت الآية الأولى من هذه السورة تعدد الإله بالأصالة والاستقلال، أبطلت هذه الآية ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ تعدد الإله بطريق

---

١ – تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٨١، ٨٢.

٢– تفسير الخازن: (٧ / ٣٢١) – مرجع سابق.

٣ – سورة يونس الآية ٦٨.

تولد إله عن إله، لأن المتولد مساو لما تولد عنه، والتعدد بالتولد مساو في الاستحالة لتعدد الإله بالأصالة لتساوى ما يلزم على التعدد في كليهما من فساد الأكوان المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [(١)] وهو برهان التمانع " [(٢)]

- كما أن من يصمد إليه لا يكون من حاله أيضًا أن" يُولَدْ " لأن الله عز وجل كما لا يخرج منه شيء فهو كذلك لا ينفصل عن شيء.

ثانيًا: تقديم نفي الوالدية على المولودية

من دلائل وحدانية الله تعالى في قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ تقديم نفي الوالدية على المولودية مع أن الشاهد – كما يقول العلامة الرازى – يكون أولًا مولودًا ثم يكون والدًا، وذلك لأن الادعاء كان أولًا بنسبة الولد إليه سبحانه حيث قال مشركوا العرب: الملائكة بنات الله، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[(٣)]

ولم يدع أحد أن له والدًا، فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾.

---

١ – سورة الأنبياء الآية ٢٢.

٢ – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠ / ٦١٨).

٣ – سورة التوبة الآية ٣٠.

ثم أشار إلى الحجة فقال:﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾كأنه قيل الدليل على امتناع الولدية اتفاقنا على أنه ما كان ولدًا لغيره [١] سبحانه وتعالى

– وعلى هذا كان تقديم نفي الولد عن الله عز وجل بدءًا بالأهم، " ثم أردف ذلك بنفي الوالد ليكون بمنزلة الاحتراس سدًا لتجويز أن يكون له والد " [٢]

وليكون أيضًا بمثابة الحجة القاطعة على نفي الوالدية سبحانه، لأن من لم يكن ولدًا لغيره لا يكون منه ولد من باب أولى

– وهكذا أفاد البدء بنفي الوالدية قبل نفي المولودية تنزيه الله تعالى عما نسب إليه من الولد بأقوى دليل وأقطع برهان.

ثالثًا: ورود نفي الوالدية والمولودية عنه – سبحانه – على صيغة الماضى

إن من يمعن النظر في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ يجد أن نفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى قد ورد بصيغة الماضى وذلك " لأن عقيدة التولد قد ادعاها أهل الضلال في زمن مضى، ولم يدع أحد أن الله سيتخذ ولدًا في المستقبل " [٣]

---

١ – مفاتيح الغيب للرازى: (١٦/ ٣٢ / ٧٨٠) بتصرف يسير.
٢ – انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٨) بتصرف يسير.
٣ – انظر: المرجع السابق نفسه: (٣٠ / ٦١٩) بتصرف.

وفى هذا يقول الإمام الرازى رحمه الله: " إنما اقتصر على ذكر الماضى فقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ولم يقل: " لن يولد " لأنه ورد جوابًا عن قولهم: ﴿ ئى ئى ﴾ والدليل عليه قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾[1]

فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم، وهم إنما قالوا ذلك في الماضى لا جرم وردت الآية على وفق قولهم " اهـ. [2]

– ويقول العلامة الآلوسي رحمه الله: " وعبر بالماضى في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ ﴾ لمشاكلة قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، وهو لا بد أن يكون بصيغة الماضى، ونفي المولودية عنه سبحانه لاقتضائها المادة فيلزم التركيب المنافى للغنى المطلق والأحدية الحقيقية، أو لاقتضائها سبب العدم ولو بالذات، أو لاقتضائها المجانسة المستحيلة على واجب الوجود "[3] سبحانه وتعالى

– ومهما يكن من أمر فإن مجيء نفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى بصيغة الماضى قد رد بشكل قاطع على ادعاء نسبة الولدية إلى الله تعالى سابقًا ونفاه، وكشف زيفه وضلاله، كما أنه أغلق الباب مستقبلًا – وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها – في وجه كل دعى

---

١ – سورة الصافات الآيتان ١٥١، ١٥٢.

٢ – مفاتيح الغيب للرازى (١٦/ ٣٢/ ٧٨٠).

٣ – تفسير الآلوسى (١٥/ ٥١٣).

تسول له نفسه أن يفتري على الله الكذب فينسب إليـــه – ســـبحانه – شيئًا من ذلك.

رابعًا: نفي الوالدية بين قوله تعالى: ﴿لَمْ يَـلِدْ﴾ وقوله سبحانه﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [١]

في الحقيقة هناك فرق بين نفى الوالدية في قوله تعالى في سورة الإخلاص" **لَمْ يَـلِدْ** " وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿**لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا**﴾ وذلك لأن الولد يكون على وجهين كما يقول العلامة الرازى:

أحدهما: أن يتولد منه مثله، وهذا هو الولد الحقيقي

والثاني: ألا يكون متولدًا منه، ولكنه يتخذه ولدًا، ويسميه هـــذا الاسم وإن لم يكن ولدًا في الحقيقة

والنصارى فريقان: منهم من قال: عيسى ولد الله حقيقة

ومنهم من قال: إن الله اتخذ ولدًا تشريفًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا تشريفًا له

فقوله تعالى﴿ **لَمْ يَـلِدْ** ﴾فيه إشارة إلى نفي الولد في الحقيقة

وقوله:﴿ **لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا** ﴾إشارة إلى نفي القسم الثاني، ولهذا قال: ﴿**لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ**﴾ لأن الإنسان قد يتخذ ولدًا ليكون ناصرًا ومعينًا له على الأمر المطلوب، ولذلك قال في سورة أخرى: ﴿ **قَالُوا**

---

١ – سورة الإسراء الآية ١١١.

﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾[١] وإشارة إلى ما ذكرنا أن اتخاذ الولد إنما يكون عند الحاجة"[٢]

والله تعالى لا حاجة له إلى أحد بل الجميع في حاجة إليه في وجودهم وبقائهم وجميع أحوالهم.

وبهذا نفى الله تعالى عن نفسه الولد على جهة الحقيقة وذلك بقوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾، كما نفاه عن نفسه على جهة التشريف للحاجة إليه، وذلك بقوله تعالى: لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا"، لأنه سبحانه الغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [٣]

خامسًا: نفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى تنزيه له عن كل ما نسب إليه في هذا الباب

" إن ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه في قوله "لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ" وقوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [٤]

---

١ – سورة يونس الآية ٦٨.

٢ – مفاتيح الغيب للرازى (١٦ / ٣٢ / ٧٨٠، ٧٨١).

٣ – سورة فاطر الآية ١٥.

٤ – سورة الصافات الآيتان ١٥١، ١٥٢.

وقوله جل شأنه ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(١)

يعم جميع ما ادعاه بعض الأمم في هذا الباب.

كما أن ما نفاه سبحانه وتعالى عن نفسه من اتخاذ الولد يعم أيضًا جميع أنواع الاتخاذات الاصطفائية المدعاة كما في قوله عز وجل﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾(٢)

- قوله سبحانه: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ (٣)

- وقوله جل شأنه: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾(٤)

- وقوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾(٥)

---

١ – سورة الأنعام الآية ١٠٠.

٢ – سورة المائدة الآية ١٨.

٣ – سورة المؤمنون الآية ٩١.

٤ – سورة الإسراء الآية ١١١.

٥ – سورة الأنبياء الآيات من ٢٦– ٢٩.

- وقولـــــه: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾(١)

- وقولـــــه: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴾ (٢)

- وقولـــــه: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٣)

---

١ – سورة النحل الآية ٥١.

٢ – سورة الإسراء الآيتان ٣٩،٤٠.

٣ – سورة الصافات الآيات ١٤٩– ١٥٩، والآيات كما ذكر العلامة ابن كثير نزلت في مشركي العرب الذين قالوا في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب، وهي أولًا: جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدًا تعالى وتقدس، وثانيًا: جعلوا ذلك الولد أنثى، وثالثًا: أنهم عبدوهم من دون الله، وكل منهم كاف في التخليد في نار جهنم، وكلها كذلك ادعاءات لا مستند فيها من كتاب منزل من عند الله تعالى كما لا يمكن استنادها إلى عقل " انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٣٥) بتصرف.

- وقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ﴾[1]

- وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾[2]

قال بعض المفسرين: "**جُزْءًا**" أي نصيبًا وبعضًا، وقال بعضهم: جعلوا لله نصيبًا من الولد، وعن

قتادة ومقاتل: عدلا [3]

وكلا القولين صحيح، فإنهم يجعلون له ولدًا، والولد يشبه أباه

- وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[4]

قال الكلبي[5]: نزلت في الزنادقة قالوا: إن الله وإبليس شريكان، فالله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب.

---

١ – سورة النجم الآيات ١٩– ٢٢.

٢ – سورة الزخرف الآية ١٥.

٣ – انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٧، ٥٧٨)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور – (١٣/ ١٩٢).

٤ – سورة الأنعام الآية ١٠٠.

٥ – انظر: تفسير الثعلبي – (٤/ ١٧٥) مرجع سابق.

وفى قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يقول بعض المفسرين: كالثعلبي: وهم كفار العرب قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله [١] . " ([٢]).

وأما الذين كانوا يقولون من العرب: إن الملائكة بنات الله، وما نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه الله بامتناع الصاحبة، وبامتناع أن يكون منه جزء فإنه (صمد)

وقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ فإذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد، وقد علموا كلهم ألا صاحبة له من الملائكة، ولا من الجن، ولا من الإنس، فلم يقل أحد منهم له صاحبة، فلهذا احتج بذلك عليهم وكذلك ما قالته النصارى: من أن المسيح ابن الله، وما قاله طائفة من اليهود أن العزير ابن الله فإنه قد نفاه – سبحانه – بهذا وبهذا [٣]

سادسًا: نفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى يقرره العقل ويثبته

إن عقيدة نفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى لم يستدل عليها فقط من خلال الأدلة الشرعية الثابتة بالقرآن والسنة، وإنما هي عقيدة

---

١ – المرجع السابق نفسه (٤/ ١٧٥).

٢ – تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ١١٦– ١٢٢ بتصرف يسير.

٣ – المرجع السابق ص ١١٦– ١٢٤ بتصرف.

يقررها العقل كذلك ويثبتها، وهو حينما يقررها إنما يستند في ذلك إلى أمرين [١] لا خلاف عليهما وهما:

١- العلم بكونه سبحانه وتعالى ليس بجسم فلا يكون والدًا لغيره.

٢- والعلم بكونه تعالى قديم لا شيء قبله، ومن ثم فلا يكون متولدًا عن غيره لاستحالة نسبة العدم إليه سابقًا ولاحقًا.

بل يرى الإمام الرازى ـــ رحمه الله ـــ أن إقرار العقل بنفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى متقدم على العلم بذلك من خلال الأدلة السمعية فيقول:

" نفي كونه تعالى والدًا مستفاد من العلم بأنه تعالى ليس بجسم ولا متبعض ولا منقسم، ونفي كونه تعالى مولودًا مستفاد من العلم بأنه تعالى قديم

- والعلم بكل واحد من هذين الأصلين متقدم على العلم بالنبوة والقرآن، فلا يمكن أن يكونا مستفادين من الدلائل السمعية

ومن ثم يمكن أن يقال: إذا كان الأمر كذلك فما الفائدة من ذكرهما – أي نفي الوالدية والمولودية – في هذه السورة ؟

---

١ – انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٣٢/ ٧٨١) بتصرف.

قلنا: قد بينا أن المراد من كونه أحدًا كونه سبحانه في ذاته وماهيته منزهًا عن جميع أنواع التراكيب، وكونه تعالى صمدًا معناه كونه واجبًا لذاته، ممتنع التغيير في ذاته وجميع صفاته.

وإذا كان كذلك فالأحدية والصمدية يوجبان نفي الوالدية والمولودية، لا جرم ذكر هذين الحكمين (انتفاء الوالدية والمولودية)

والمقصود من ذكرهما تنبيه الله تعالى على الدلائل العقلية القاطعة على انتفائهما " اهـ.[1]

وخلاصة ما سبق: أن نفي الوالدية والمولودية عن الله تعالى في قوله﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ليدل دلالة واضحة على كمال وحدانيته تعالى لأنه أفاد بوضوح تنزيه الله عز وجل عن كل ما نسب إليه في هذا الباب، كما أفاد بطلان ألوهية كل مولود ادعى أهل الضلال نسبته إلى الله على سبيل الحقيقة أو المجاز لأن ما بني على باطل فهو باطل

– يقول ابن عاشور رحمه الله: " ومنه الإيماء إلى أن من يكون مولودًا مثل عيسى – عليه السلام – لا يكون إلها، لأنه لو كان الإله مولودًا لكان وجوده مسبوقًا بعدم لا محالة، وذلك محال لأنه لو كان مسبوقًا بعدم لكان مفتقرًا إلى من يخصصه بالوجود بعد العدم، فحصل من مجموع جملة: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ إبطال أن يكون الله والدًا لمولود، أو مولودًا من والد بالصراحة، وبطلت إلهية كل مولود

١ – المرجع السابق (١٦/ ٣٢/ ٧٨١).

بطريق الكناية، فبطلت العقائد المبنية على تولد الإلـه مثـل عقيـدة (زرادشت) [١] الثانوية القائلة بوجود إلهين، إله الخير وهو الأصـل، وإله الشر وهو متولد عن إله الخير، لأن إله الخير وهـو المسـمى عندهم (يزدان) فكر فكرة سوء فتولد منه إله الشر المسـمى عنـدهم (أهرمن).

وبطلت عقيدة النصارى بإلهية عيسى عليه السلام بتوهمهم أنه ابن الله، وأن ابن الإله لا يكون إلا إلهًا، بأن الإله يستحيل أن يكون له ولـد، فليس عيسى بابن لله، وبأن الإله يستحيل أن يكون مولودًا بعد عـدم، فالمولود المتفق على أنه مولود يستحيل أن يكون إلهًا فبطل أن يكون عيسى إلهًا " اهـ. [٢] وكذلك كل مولود نسب إلى الله زورًا وبهتانًا.

ويقول أيضًا رحمه الله:" فلما أبطلت الجملة الأولى:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إلهية غير الله بالأصالة، وأبطلـت الجملـة الثانيـة: ﴿ ٱللَّهُ

---

١ – زرادشت: أحد حكماء المجوس المشهورين، ويدعى زردشت بن بورشب، وقد ظهر في زمان كشتاسب بن لهراست الملك، وأبوه كان من أذربيجان، وأمه من الري واسمها دغدوية، وكان قد تزعم طائفة من المجوس أطلق عليها، (الزردشتية) نسبة إليه، وقد زعم هذا الحكيم أن النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك (يزدان، وأهرمن) هما مبدأ موجودات العالم، وزعم أن له كتابًا صنفه، وقيل أنزل عليه وهو (زاندوستا) كما ادعى أصحابه أن له معجزات كثيرة .. وغير ذلك. انظر: الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٤١ وما بعدها.

٢ – التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور – (٣٠/ ٦١٩).



﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ إلهية غير الله بالاستحقاق، أبطلت هذه الجملة: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ إلهية غير الله بالفرعية والتولد بطريق الكناية " اهـ. [١]

وهذا ما أكده الإمام الرازي – رحمه الله – وزاد عليه، حيث ذكر – في جوابه عن سؤال قد طرحه، وهو: هل في قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ فائدة أزيد من نفي الوالدية ونفي المولودية؟ أن فيه فوائد كثيرة، وذلك لأن قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إشارة إلى كونه تعالى في ذاته وماهيته منزهًا عن التركيب.

– وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إشارة إلى نفي الأضداد والأنداد والشركاء والأمثال.

- وهذان المقامان الشريفان مما حصل الاتفاق فيهما بين أرباب الملل والأديان، وبين الفلاسفة.

إلا أن من بعد هذا الموضع حصل الاختلاف بين أرباب الملل وبين الفلاسفة

فإن الفلاسفة قالوا: إنه يتولد عن واجب الوجود عقل، وعن العقل عقل آخر ونفس وفلك، وهكذا على الترتيب حتى ينتهي إلى العقل الذى هو مدبر ما تحت كرة القمر.

---

١ – المرجع السابق نفسه: (٣٠/ ٦١٩).

فعلى هذا القول يكون واجب الوجود قد ولد العقل الأول الذى هو تحته، ويكون العقل الذى هو مدبر لعالمنا هذا كالمولود من العقول التى فوقه.

فالحق سبحانه وتعالى نفى الوالدية أولًا، كأنه قيل إنه لم يلد العقول والنفوس، ثم قال: والشيء الذى هو مدبر أجسامكم وأرواحكم وعالمكم هذا ليس مولودًا من شيء آخر، فلا والد ولا مولود ولا مؤثر إلا الواحد الذى هو الحق سبحانه. [1]

---

١ – مفاتيح الغيب للإمام الرازى (١٦/ ٣٢/ ٧٨١، ٧٨٢).




المطلب الرابع

نفى المماثلة عن الله تعالى ودلالة ذلك على وحدانيته

بعد أن فرغت السورة الكريمة من التدليل على وحدانية الله تعالى بنفي الوالدية والمولودية عنه فى قوله عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ بدأت في التدليل على تمام وحدانيته بنفي المماثلة عنه، وذلك من خلال الآية الأخيرة منها وهي قوله – جل شأنه – ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وهذا ما سأعرض له – بمشيئة الله تعالى – بشيء من التفصيل من خلال العناصر الآتية:

أولًا: أصل كلمة ﴿ كُفُوًا ﴾ ومدلولها في اللغة:

الكفو أو الكفؤ في الأصل من الكفاءة بمعنى المساواة والمماثلة

– جاء في لسان العرب: ".. والكفيء: النظير، وكذلك الكفء، والكفؤ، والمصدر: الكفاءة بالفتح والمد، وتقول: لا كفاء له بالكسر: أي لا نظير له، والكفء: النظير والمساوى، ومنه الكفاءة في النكاح: وهو أن يكون الزوج مساويًا للمرأة في حسبها، ودينها، ونسبها، وبيتها، وغير ذلك، وتكافأ الشيئان: تماثلا، وكافأه مكافأة وكفاء: ماثله، والتكافؤ: الاستواء " اهـ. (١)

– وجاء في المصباح المنير: كل شيء ساوى شيئًا حتى صار مثله فهو (مكافئ) له، و(المكافأة) بين الناس من هذا.

---

١ – لسان العرب: باب الهمزة – مادة كفأ – (١/ ١٣٩).

والمسلمون (تتكافأ) دماؤهم: أي تتساوى في الدية والقصاص، ومنه (الكفيء) بالهمز على فعيل، و(الكفؤ) على فعول، و(الكفء) كلها بمعنى المماثل " اهـ. [١]

- وفى القاموس المحيط: " كافأه: مكافأة وكفاء: جازاه، وفلانًا: ماثله، والاسم: الكفاءة، والكفاء بفتحهما ومدهما، وهذا كفاؤه، وكفأته، وكفيئه، وكفؤه، وكفؤه، وكفؤه، وكفؤه: مثله، والجمع أكفاء وكفاء " اهـ.[٢]

وهكذا تدور كلمة " كُفُوًا " ومشتقاتها في اللغة حول معنى: النظير، والشبيه، والمثل.

ثانيًا: المراد بنفي (الكفو) عن الله تعالى في قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وأقوال العلماء في ذلك:

تعددت أقوال العلماء في بيان المراد بنفي (الكفو) في قوله تعالى: " وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ "، وإن كانت كلها في الحقيقة لا تخرج عن المعنى اللغوي للكلمة وهو: المكافئ والنظير، والمساوى والمماثل، والشبيه.

فمنهم من يرى أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ "﴾ أنه سبحانه وتعالى لم يكن له شبيه ولا مثل لا في ذاته، ولا

---

١ - المصباح المنير: ص ٥٣٧.

٢ - القاموس المحيط - باب الهمزة - فصل الكاف (١/ ١٣٨).

في صفاته، ولا في أفعاله، وأنه عز وجل كما قال عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [١]

- يقول العلامة القرطبي رحمه الله: " قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أي لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثله شيء " اهـ. [٢]

- ويقول العلامة النسفي – طيب الله ثراه -: " وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ نفى أن يماثله شيء، ومن زعم أن نفي الكفء وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال، والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه، لأنه إذا لم يكن – أى المثل – فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة، إذ الحادث لا يكون كفؤًا للقديم " اهـ. [٣]

- ويقول أبو منصور الماتريدي مؤكدًا كذلك نفي التشبيه والمماثلة عن الله تعالى ومدللًا عليه: " قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أن ليس له أحد كفؤًا، لأنه بالخلقة من ذلك يوجب المماثلة، وفى المماثلة اشتراك، وقد ثبت فساد العالم بتوهم الاشتراك في تدبيره، وقد لزم التعالى عن المعاني التي للازدواج بها يقوم التدبير، ويجري سلطان التقدير. وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا

١ – سورة الشورى الآية ١١.

٢ – تفسير القرطبي (١٠/ ٧٥٩١).

٣ – تفسير النسفي (٢/ ٤/ ٣٨٥).

أَحَدٌۢ ﴾ لما في كل أحد سواه الوجوه التي منها يعرف سلطان غيره عليه، وإنه دليل لمن ذل له كل شيء على السواء " اهـ. [١]

ومنهم من يرى أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أنه سبحانه وتعالى لم تكن له صاحبة.

وفى هذا يقول ابن كثير رحمه الله: " قال مجاهد: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾يعنى لا صاحبة له، وهذا كما قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[٢]

أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [٣]

وقال تعالى:﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٤]

---

١ – تفسير القرآن العظيم لأبي منصور الماتريدي: (٥/ ٥٤٢).

٢ – سورة الأنعام الآية ١٠١.

٣ – سورة مريم الآيات من ٨٨ – ٩٥.

٤ – سورة الصافات الآيتان ١٥٨، ١٥٩.

وفى صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قـــال النبي ﷺ: " ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم " [١]

وفى صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال رســول الله: ﷺ "كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أمــا تكذيبه إياي أن يقول: اتخذ الله ولدًاوأنا الصمد الذى لم ألد ولم أولــد ولم يكن لي كفؤًا أحد " [٢]. " اهــ. [٣]

– وفى السياق نفسه يقول صاحب البصائر: ".. ثم نفــى عنــه سبحانه الولد بقوله: ﴿لَمْ يَـلِدْ وَلَمْ يُولَـدْ ﴾ والصاحبة بقولــه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَـدٌ ﴾. "[٤]

– ومنهم من جمع بين التفسيرين لأن من لا مثل له لاصاحبة له

---

١ – أخرجه البخاري في كتاب: (التوحيد)، باب: (قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾الإسراء ١١٠– رقم: (٧٣٧٨).

٢ – أخرجه البخاري في صحيحه فى كتاب: (تفسير القرآن – سورة الإخلاص)، باب: قوله : ﴿ پ پ﴾– رقم (٤٩٧٥).

٣ – تفسير ابن كثير: (٤/ ٩١١).

٤ – بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي (١/ ٥٥٤).

يقول الدكتور الزحيلي: " قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي ليس لله أحد يساويه، ولا يمائله، ولا يشاركه، وهذا متعدد الهدف، فهو نفي لوجود الصاحبة، وإبطال لما يعتقد به المشركون العرب من أن لله ندًا في أفعاله، – والند: النظير والمثيل – حيث جعلوا الملائكة شركاء لله، والأصنام والأوثان أندادًا لله تعالى " اهـ[١].

كما أن هناك من المفسرين من يرى – وهو التحقيق كما يقول الإمام الرازى رحمه الله – أنه تعالى لما بين أنه هو المصمود إليه في قضاء الحوائج ونفي الوسائط من البين بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فحينئذ ختم السورة بأن شيئًا من الموجودات يمتنع أن يكون مساويًا له في شيء من صفات الجلال والعظمة. [٢]

وهذا الكلام – في تصورى – لا يخرج عن سابقه وإن اختلفت العبارة .

– **ومهما يكن من أمر** فإن الله عز وجل ليس من خلقه مثل ولا شبيه ولا نظير، وأنه سبحانه وتعالى " إنما نزه عن أن يكون من أجناس المخلوقات لأن أفراد كل جنس من هذه الأجناس متكافئة

---

١ – التفسير الوسيط للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي (٣/ ٢٩٦٠) ط دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٢ – مفاتيح الغيب للرازى (١٦/ ٣٢/ ٧٨٣).

مماثلة، فالذهب يكافئ الذهب، والإنسان يكافىء الإنسان ويزاوجه، ولهذا قـــال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [1].

فما من مخلوق إلا وله كفؤ هو زوجه ونظيره، وعدله ومثيله، فلو كان الحق من جنس شيء من هذه الأجناس لكان له كفؤ وعـــدل، وقد علم انتفاؤه بالشرع والعقل

وفى الحديث عن عبدالله ﷺ قال: سألت النبـــي ﷺ أي الـــذنب أعظم عند الله ؟ قال: " أن تجعل لله ندًا وهو خلقك " [2]. " [3]

ثالثًا: القراءات الواردة في قوله: ﴿ كُفُوًا ﴾ ودلالتها على نفي المماثلة عن الله تعالى:

المطلع على أوجه القراءة الواردة في كلمة ﴿ كُفُوًا ﴾ فى الآية الكريمة ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ يجدها على النحو التالى:

أ- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصـــم والكسائي: ﴿ كفؤًا ﴾ مثقلًا مهموزًا.

ب- وقرأ حفص بضم الفاء والواو ﴿ كفوا ﴾ مثقلًا بغير همز.

---

١ - الآية ٤٩ من سورة الذاريات.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: (التوحيد)، باب: (قول الله تعالى: "ۏ ۏ ۆ ۈ" -رقم (٧٥٢٠).

٣ - روائع التفسير لابن رجب الحنبلي: (٢/ ٦٧٤- ٦٧٦).

ج- وقرأ حمزة ويعقوب ﴿ كفؤا ﴾ مهموزًا مخففًا [(١)] .

ومن خلال هذه القراءات الثلاث الواردة في الكلمة الشريفة يبـــدو أن الاختلاف بينها محصور فيما يلي:

أ- الهمزة التي تفيد الصعوبة والشدة.

ب- والضمة: التي تفيد العلو والقوة.

ج- والسكون: الذى يفيد الثبات.

وتبعًا لهذا الاختلاف فإن كل وجه من أوجه القراءات الـــواردة في الكلمة القرآنية ﴿كُفُوًا ﴾ في موضعها له دلالة خاصة فـــي نفـــي المماثلة عن الله تعالى، ويبدو ذلك واضحًا فيما يلي:

١- يتبين من قراءة " " كفؤًا" " أنه مهما علا المرء ليصل إلى أن يكون لله تعالى ندًا فلن يكون.

٢- يتبين من قراءة " كفوًا" أن التفكير في أن لله – تعالى – ندًا مرتقى غاية في الصعوبة والشدة لا يطيقه ولا يتحمله عاقل.

---

١ – معاني القراءات للأزهري: محمد بن أحمد الأزهري الهروي أبو منصور المتوفى ٣٧٠هــ (٣/ ١٧٢) – ط مركز البحوث بكلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٢هــ – ١٩٩١ م، وتفسير البغوي (٥/ ٣٣٠) – مرجع سابق.

٣- كما يتبين من قراءة " كفوًا" ثبات الفكر وتوقفه عن أن يقترب مجرد اقتراب من التفكير في أن يكون لله تعالى ند أو مثيل"[١].

٤- التقديم والتأخير في قوله سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ودلالته على نفي المماثلة عن الله تعالى:

المتأمل في قوله عز وجل: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ يجد فيه تقديمًا وتأخيرًا، وتقديره: " ولم يكن له أحد كفوًا" فقدم خبر كان على اسمها، وذلك " للاهتمام بذكر " الكفؤ" عقب الفعل المنفي ليكون أسبق إلى السمع " [٢] فضلًا عن رعاية الفواصل بين الآيات. [٣] وانسياق أواخر الآي على نظم واحد [٤].

---

١ - انظر: تفسير القرآن بالقراءات العشر – من سورة التغابن إلى سورة الناس للباحث صابر بن محمد أحمد ص ٢٨٣ وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول دين – جامعة غزة الإسلامية – عام ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م –بتصرف كبير.

٢- التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور: (٣٠/ ٦٣٠).

٣ - انظر: تفسير الآلوسي (٥/ ٥١٥)، وتفسير أبي السعود (٣/ ٩/ ٢١٣).

٤ - تفسير القرطبي: (١٠/ ٧٥٩١).

-كما يجد " تقديم المجرور "لَهُۥ" على متعلقه ﴿كُفُوًا﴾ مع أن حقه التأخير وذلك للاهتمام باستحقاق الله – تعالى – نفي كفاءة أحـــد له" [١]

وهذا ما توافرت عليه أقوال العلماء:

– يقول الإمام الآلوسي رحمه الله: ﴿لَهُۥ﴾ صلة ﴿كُفُوًا﴾ على ما ذهب إليه المبرد وغيره، والأصل أن يؤخر إلا أنه قدم للاهتمـــام، لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته عز وجل " اهــ. [٢]

– ويقول العلامة الزمخشري رحمه الله: " فإن قلـــت: الكـــلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذى هو (له) غير مستقر ولا يقدم، وقد نص سيبويه على ذلك، فما باله مقدمًا في أفصح كلام وأعربه ؟

قلت: هذا الكلام إنما سيق لنفـــي المكافـــأة عـــن ذات البـــارى سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه، وأحق بالتقدم وأحراه " اهــ. [٣]

– ويقول الإمام البيضاوى كذلك: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها، وكان أصله

---

١ – انظر: التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور (٣٠/ ٦٣٠) بتصرف يسير.

٢ – تفسير الآلوسي (٥/ ٥١٥).

٣ – تفسير الزمخشري: (٤/ ٨٢٣، ٨٢٤)، ومفاتيح الغيب للرازى: (١٦/٣٢/ ٧٨٢).

أن يؤخر الظرف ﴿ لَهُۥ ﴾ لأنه صلة ﴿ كُفُوًا ﴾ لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديمًا للأهم " اهـ.[1]

– وهكذا يبدو بوضوح أن التقديم والتأخير في قولـه تعـالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ إنما كان

الهدف من ورائه التأكيد على نفي المماثلة والمشابهة عـن الله تعالى، وهذا هو المقصود الأول الذى سيقت الآية من أجله.

خامسًا: العطف في قوله سبحانه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ودلالته على نفي المماثلة عن الله تعالى:

الذى يمعن النظر في عطف الجمل القرآنية الثلاث – في قوله عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ بعضها على بعض دون ما عداها يدرك أنها جميعًا ما سيقت إلا لهدف واحد وهو نفي المماثلة عن الله تعالى من كل الوجوه.

وفى هذا يقول العلامة الآلوسي رحمه الله: " ولعل وقوع الجمل الثلاث﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ متعاطفـة دون ما عداها من هذه السورة لأنها سيقت لمعنى وغـرض واحـد وهو: نفي المماثلة والمناسبة عنه – تعالى – بوجه من الوجوه، ومـا تضمنته أقسامها لأن "المماثل" إما ولد أو والـد أو نظيـر غيرهمـا

---

١ – تفسير البيضاوى ص ٧٥٣.

فلتغاير الأقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني " اهـ. (١)

- ويقول الإمام البيضاوي – عليه سحائب الرحمة –:" ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لأن المراد منها نفي أمثال الأقسام فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل " اهـ. (٢)

- وهكذا كانت الآية الكريمة بكل كلماتها وحروفها، وما فيها من عطف وتقديم وتأخير.. وغير ذلك واضحة الدلالة على نفي المماثلة والمشابهة عن الله تعالى من كل الوجوه لتثبت بذلك مع ما سبقها من آيات كمال وحدانيته – عز وجل – وفقًا للمنهج الواضح الذى اعتمدته السورة الجليلة في ذلك، وهو المنهج القائم على الإثبات والنفي.. إثبات (أحديته) و(صمديته) وما يستلزم ذلك من وجوب اتصافه – سبحانه – بكل كمال يليق بذاته المقدسة، ونفي الوالدية والمولودية عنه – جل وعلا – وكذا نفي المماثلة والمشابهة وما يستلزمه من تنزيه الله – عز وجل – عن كل ما لا يليق به في ذاته، وفى صفاته، وفى أفعاله لتبقى الحقيقة الكبرى التي ينبغي أن تملك على الإنسان قلبه وعقله وروحه وهي: أن الله تعالى واحد متفرد في ذاته فلا قسيم له، متفرد في صفات كماله ونعوت جلاله فلا نظير له،

---

١ – تفسير الآلوسي: (٥/ ٥١٥).

٢ – تفسير البيضاوي: ص ٧٥٣.



متفرد في أفعاله فلا شريك له، وأنه سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١] .

وعلى هذا فالسورة الكريمة قد انطوت مع تقارب قطرها على أشتات المعارف الإلهية والعقائد الإسلامية [٢] حيث أشارت أولًا إلى هويته المحضة التي لا اسم لها إلا أنه ﴿هُوَ﴾.

- ثم عقبه بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة وأشدها تعريفًا.

- ثم عقبه بذكر الأحدية لفائدتين:

الأولى: لئلا يقال إنه ترك التعريف الكامل بذكر المقومات وعدل إلى ذكر اللوازم.

والثانية: ليدل على أنه في ذاته واحد من جميع الوجوه.

- ورتب الأحدية على الإلهية ولم يرتب الإلهية على الأحدية، فإن الإلهية عبارة عن استغنائه عن الكل واحتياج الكل إليه، وما كان كذلك كان واحدًا مطلقًا، وإلا لكان محتاجًا إلى أجزائه، فإن الإلهية من حيث هي تقتضي الوحدة، والوحدة تقتضي الإلهية.

---

١ - في الآية ١١ من سورة الشورى.

٢ - تفسير الآلوسي (١٥/ ٥١٦).

- ثم عقب ذلك بقوله:﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ودل على تحقيق معنى الإلهية بالصمدية التي معناها: وجوب الوجود والمبدئية لوجود كل ما عداه من الموجودات.

- ثم عقب ذلك ببيان أنه لا يتولد عنه غيره، لأنه غير متولد عن غيره، وبين أنه وإن كان إلهًا لجميع الموجودات فياضًا للوجود عليها فلا يجوز أن يفيض الوجود على مثله كما لم يكن وجوده من فيض غيره.

- ثم عقب ذلك ببيان أنه ليس من الوجود ما يساويه في قوة الوجود[١]

والخلاصة أن السورة الجليلة من أولها إلى آخر قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾في بيان ماهيته ولوازم ماهيته، ووحدة حقيقته وأنه – سبحانه – غير مركب أصلًا.

ومن قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ في بيان أنه – جل شأنه – ليس له ما يساويه في نوعه ولا في جنسه، لا بأن يكون متولدًا، ولا بأن يكون متولدًا عنه، ولا بأن يكون موازيًا له في الوجود، وبهذا المبلغ يحصل تمام معرفة ذاته [٢] جل في علاه.

ولهذا حق للشاعر العظيم أمية بن الصلت أن يقول:

سبحان ربي خالق النور لم يلد ولم يك مولودًا بذلك أشهد

---

١ – تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين لابن سينا ص ٥٩ – ٦٥.

٢ – المرجع السابق ص ٦٥ – ٦٧.

وسبحانه من كل إفك وباطل وكيف يلد ذو العرش أم كيف يولد

هو الله بارئ الخلق والخلق كلهم إماء له طوعًا جميعًا وأعبد

هو الصمد الله الذى لم يكن له من الخلق كفوٌ قد يضاهيه مخلد

وأنى يكون الخلق كالخالق الذى يدوم ويبقى والخليقة تنفد

وليس بمخلوق على الدهر جده ومن ذا على مر الحوادث يخلد

وتفنى ولا يبقى سوى القاهر الذى يميت ويحيي دائبًا ليس يمهد(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

١ - انظر: روائع التفسير لابن رجب: (٢/ ٦٧٨).

الخاتمة

وتشتمل على:

أولا: أهم النتائج

ثانيا: أهم التوصيات

الخاتمة

وبعد أن طوف الباحث بهذه الرحاب المقدسة، رحاب سورة الإخلاص التى تعدل ثلث القرآن، وعاش فى ظلالها بقلبه وعقله وروحه، وأمعن النظر فى آياتها وكلماتها بعينى بصره وبصيرته، محاولًا – قدر الطاقة – تجلية منهجها فى إثبات وحدانية الله تعالى وبيان معالمه، يمكن استخلاص أهم النتائج والتوصيات التى أسفر عنها هذا البحث، فيما يلى:

أولًا: أهم النتائج:

١-سورة الإخلاص من أعظم سور القرآن الكريم وأعلاها شأنًا لاشتمالها على وحدانية الله تعالى، واتصافه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة.

٢-لا توجد سورة من سور القرآن الكريم تعددت أسماؤها وكثرت مثل سورة الإخلاص، وهذا يدل على عظم قدرها وسمو مكانتها، فكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى، ومن أسمائها: الإخلاص، والصمد، والتوحيد، والتنزيل، والأساس، والجمال، والنجاة، والولاية، والبراءة، والمعرفة، والنور.

٣ـ اختص الله تعالى سورة الإخلاص بكثير من الفضائل والمزايا فهى صفة الرحمن، وهى تعدل ثلث القرآن، وهى موجبة لدخول الجنة والفوز بقصورها، وهى مع المعوذتين خير ثلاث سور أنزلت فى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، ولذلك اهتم بها النبى

صلى الله عليه وسلم أيما اهتمام فحافظ على قراءتها والتعبد بها مع "سورة الكافرون" فى كثير من صلواته، وداوم عليها فى كثير من أذكاره وأوراده، وعلم ذلك أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

٤ – لسورة الإخلاص مقاصد عالية وأهداف سامية منها:

أ–إثبات وحدانية الله تعالى بأوضح صورة وأوجز بيان.

ب–الرد على كل من خالف التوحيد الصحيح فأشرك مع الله غيره فى الاعتقاد أو العمل، أو نسب لله تعالى الولد كما فعل مشركوا العرب، واليهود، والنصارى، والصابئة، والمجوس، وغيرهم.

ج–نفى أنواع الكفر الثمانية وهى: الكثرة والعدد، والقلة والنقص، والعلة والمعلولية، والشبيه والنظير.

٥–نزلت سورة الإخلاص ردًا وجوابًا لمن قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم من مشركى العرب وأهل الكتاب: " انسب لنا ربك " أو " صف لنا ربك ".

٦–التوحيد الخالص هو بيت القصيد ومحور الارتكاز فى حقيقة الصلة والمناسبة بين سورة الإخلاص وما قبلها وإن تعددت فى ذلك أقوال العلماء واختلفت آراؤهم.

٧–الوحدانية: نفى التعدد عن الله تعالى ذاتًا وصفات وأفعالًا.

والتوحيد: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصـــديق عليها ذاتًا وصفات وأفعالًا، أى أن " الوحدانية " صفته، و" التوحيــد " حقه، وعليه، فهناك فرق فى المفهوم بين " الوحدانية " و" التوحيد ".

٨-من العلماء والباحثين من توسع فى المعنى الشرعى للتوحيد حتى جعله شاملًا لكل أصول العقيدة من إلهيات ونبوات وســمعيات، وهذا صحيح لأن الإيمان بوحدانية الله تعالى يقتضى الإيمان بجميــع أنبيائه ورسله وما يتعلق بهم، كما يقتضى الإيمان بكل ما جاءوا به لا سيما الأمور الغيبية التى لا تؤخذ إلا بالسماع منهم عــن طريــق الوحى، وعليه فالوحدانية جزء من التوحيد لا تنفصل عنه بحال، بل هى أصله الأصيل الذى تنبنى عليه كل قضايا التوحيد ومسائله.

٩-اعتمدت سورة الإخلاص فى إثبات وحدانية الله تعالى منهجًا واضحًا يتمثل فى معلمين أساسيين:

الأول: الإثبات: حيث أثبتت السورة الكريمة فى النصف الأول منها وحدانية الله تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله، وذلك من خـــلال " الأحدية " و " االصمدية " المشار إليهما فى قوله جل شـــأنه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ .

والثانى: النفى: حيث تكفلت السورة الكريمة فى النصف الثانى منها بتنزيهه سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به من صفات العجز والنقص، وفى هذا السياق نفت عنه تعالى: الوالدية والمولودية، كمـــا

نفت عنه مطلق المشابهة والمماثلة وذلك من خلال قوله عز وجل: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

١٠- أكثر العلماء على أن " الواحد " و " الأحد " ليسا اسمين مترادفين، وإنما هناك أوجه كثيرة للفرق بينهما منها:

- أن " أحد " لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال: أحد واثنان كما يقال: واحد واثنان، ولا يقال: رجل أحد كما يقال: رجل واحد، ولذلك اختص به تعالى.

- أن " أحد " فى النفى نص فى العموم بخلاف " واحد " فإنه محتمل للعموم وغيره.

-أن لفظ " أحد " إذا جاء مثبتًا غير مضاف لا يوصف به إلا الله تعالى لخلوص هذا الاسم الشريف له جل جلاله، بخلاف " واحد " فإنه يوصف به الله تعالى كما يوصف به غيره.

١١-لا يجمع بين هذين الوصفين: " الواحد والأحد " إلا الله عز وجل، وهما وإن كانا فى الأصل من مادة واحدة وهى " الوحدة " بمعنى الانفراد إلا أن " الأحدية " أبلغ وأشمل، وأتم وأكمل فى الدلالة على وحدانية الله تعالى من " الواحد "، وذلك لأن " الأحدية " تشمل معنى الواحدانية – التى هى الانفراد بالذات وعدم التعدد – وتضيف إلى ذلك أنه – سبحانه وتعالى – ليس مركبًا من أجزاء على أى نحو، وأنه ليس كمثله شيء، لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله.

١٢-عبرالله تعالى عن كمال وحدانيته بلفظ معجز لا يقبل التعدد وهو: " أحد "، وإذا كان ذلك كذلك فكيف بالله عز وجل في ذاته ؟ وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل، ولذلك كان شعار سيدنا بلال رضى الله عنه عند تعذيبه على الإسلام: أحد أحد، كما كان شعار المسلمين يوم بدر: أحد أحد.

١٣-الإلهية المشار إليها فى لفظ الجلالة (الله) فى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تدل على مجامع الصفات الثبوتية التى تثبت لله تعالى كل كمال يليق به (وتسمى صفات الكمال) وذلك لأنه سبحانه هو الذى يستحق العبادة والطاعة، وهذا لا يكون إلا لمن كان مستقلًا بالإيجاد والإبداع، والاستقلال بالإيجاد لا يحصل إلا لمن كان موصوفًا بالقدرة التامة، والإرادة النافذة، والعلم الشامل المتعلق بالكليات والجزئيات، وهذه مجامع الصفات الثبوتية.

أما " الأحدية " فى قوله جل شأنه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهى جامعة للصفات السلبية التى تنفى عن الله ما لا يليق بذاته المقدسة (وتسمى صفات الجلال) لأنه إذا كان منفردًا بالإلهية كان مستغنيًا عن المخصص بالإيجاد، ومن ثم كان وجوده تعالى قديمًا غير مسبوق بعدم، ولا محتاج إلى مخصص بالوجود بدلًا من العدم، وكان مستغنيًا عن الإمداد بالوجود فكان باقيًا، وكان غنيًا عن غيره، وكان مخالفًا للحوادث وإلا لاحتاج مثلها إلى مخصص، وهذا من أعظم وجوه الدلالة على كمال وحدانية الله تعالى فى أول آية من آيات السورة الكريمة.

١٤-أحدية الله تعالى بمعناها الدقيق هى أحدية الوجود، إذ ليس هناك حقيقة بهذا الكمال المطلق إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقى إلا وجوده جل فى علاه، وكل وجود آخر إنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقى، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية.

وهى أيضًا أحدية الفاعلية، فليس سواه فاعلًا لشيء أو فاعلًا فى شيء فى هذا الوجود أصلًا، وتلك عقيدة يخلص القلب معها من كل شائبة، ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية.

١٥-اسمه تعالى " الصمد " يعنى فى حقه جل شأنه: أنه هو السيد الكامل فى جميع صفاته وأفعاله، المستغنى بذاته عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، ومن كان هذا شأنه فلا يكون إلا واحدًا أحدًا متفردًا بالكمال والجلال والعظمة فى ذاته وصفاته وأفعاله، وعليه فالاسم الشريف " الصمد " جامع لصفات الكمال ونعوت الجلال، ومن ثم فهو أيضًا تام الدلالة على وحدانية الله تعالى.

١٦- كلمة " صمد " تطلق على غير الله تعالى، ولذلك جاءت مقترنة بالألف واللام فى قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ لتدل على أنه عز وجل هو الكامل فى صفات الصمدية، أما الأحد فلم يتسم به غير الله تعالى، فلم يحتج فيه إلى الألف واللام.

١٧-تعريف طرفى الجملة فى قوله جل ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إنما هو لإفادة حصر " الصمدية " فى حقه تعالى، وقصرها عليه.

١٨- تكرير لفظ الجلالة (الله) مع وصفه بالصمد فى قوله جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ إنما يشعر بأن من لم يتصف بالصمدية لا يكون جديرًا بالألوهية، كما أن تعرية الآية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ عن العاطف إنما يشير إلى أنها كالدليل للآية السابقة عليها، وهى قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ لأن من كان غنيًا لذاته محتاجًا إليه جميع من سواه لا يكون إلا واحدًا، أو نتيجة لها، لأن الأحدية تستلزم الصمدية والغنى المطلق.

١٩-لا يصح بحال أن يكون لله تعالى ولد، لأن الولد لا يكون إلا لمن له زوجة، والله تعالى لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة، وقد دل على هذا قوله عز وجل: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [١].

كما لا يصح أن يكون له أب أو أم لأن كل مولود حادث، والله تعالى أزلى قديم، وبذلك نفى الله تعالى عن نفسه إحاطة النسب من كل الوجوه، فقال جل شأنه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فهو الأول الذى لم يتقدمه والد كان عنه، وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد كان منه.

٢٠- من " يصمد " إليه لا يكون من حاله أن يلد، لأن طلب الولد إنما يكون بقصد الاستعانة به فى إقامة شئون الوالد وتدارك عجزه، ولذلك رد الله عز وجل على من ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾

---

[١] - سورة الأنعام: الآية ١٠١

بإثبات الغنى فى قوله جل شأنه: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1].

٢١-- نفى الله تعالى عن نفسه الولد على جهة الحقيقة بقوله جل شأنه: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ ،كما نفاه عن نفسه على جهة التشريف للحاجة إليه، بقوله سبحانه: ﴿لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ [2]لأنه الغنى عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[3].

٢٢- من دلائل وحدانية الله تعالى فى قوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ تقديم نفى الوالدية على المولودية – مع أن الترتيب الطبيعى أن يكون مولودًا أولًا ثم يكون والدًا – وذلك لأن الادعاء كان أولًا بنسبة الولد إليه سبحانه، حيث قال مشركوا العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ولم يدع أحد أن له والدًا، فلهذا بدأ بنفى الوالدية من باب البدء بالأهم فقال: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾.

٢٣- التصريح بنفى المولودية عنه تعالى عقب نفى الوالدية مباشرة إنما هو بمنزلة الاحتراس سدًا لتجويز أن يكون له والد،

---

[1] – سورة يونس: الآية ٦٨

[2] – سورة الإسراء: الآية١١١

[3] – سورة فاطر: الآية ١٥

وليكون أيضًا بمثابة الحجة القاطعة على نفى الوالدية عنه جل شأنه، لأن من لم يكن مولودًا لا يكون والدًا من باب أولى.

٢٤- نفى الوالدية والمولودية عن الله تعالى عقيدة يقرها العقل ولا ينفيها، وهو حينما يقرها إنما يستند فى ذلك إلى أمرين:

الأول: العلم بكونه سبحانه وتعالى ليس بجسم، فلا يكون والـــدًا لغيره.

والثانى: العلم بكونه قديمًا لا شيء قبله، ومن ثم فـــلا يكـــون متولدًا عن غيره لاستحالة نسبة العدم إليه سابقًا ولاحقًا.

٢٥- نفى الوالدية والمولودية عن الله تعالى فى قوله جل شأنه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ يدل بوضوح على كمال وحدانيته عز وجل، لأنه أفاد بجلاء تنزيه الله عن كل ما نسب إليه فى هذا الباب، كما أفاد بطلان ألوهية كل مولود ادعى أهل الضلال نسبته إلى الله على سبيل الحقيقة أو المجاز، لأن ما بنى على الباطل فهو باطل.

٢٦- نفى " الكفو " عن الله تعالى فـــى قولـــه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ يعنى: أنه جل شأنه لا مثل له ولا شبيه ولا نظيـــر ولا صاحبة، وهذا ما قرره الشرع والعقل.

٢٧-من الدلالات القوية على نفى المماثلة والمشابهة عـــن الله تعالى فى قوله جل شأنه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ تقديم خبـــر كان ﴿كُفُوًا﴾ على اسمها ﴿أَحَدٌ﴾، وكذا تقديم المجرور ﴿لَّهُۥ﴾

على متعلقه ﴿ كُفُوًا ﴾ مع أن حقه التـأخير، لأن هـذا – نفـى المماثلة والمشابهة عنه تعالى – هو المقصود الأول للآية، والذى من أجله سيقت.

٢٨–عطف الجمل القرآنية الثلاث فى قوله تعـالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ بعضها على بعض دون ما عداها يؤكد أنها ما سيقت إلا لهدف واحد وهو نفى المماثلة عـن الله عز وجل من كل الوجوه، ولتثبت بذلك مع ما سبقها من آيـات فـى السورة الكريمة كمال وحدانيته سبحانه وفقًا للمنهج الـذى اعتمدتـه السورة فى ذلك.

٢٩– قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أبطل إلهيـة غيـر الله بالأصالة والاستقلال

–وقولـه تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أبطـل إلهيـة غيـر الله بالاستحقاق

–وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أبطل إلهية غيـر الله بالفرعية والتولد، لأن المتولد مساو لما تولد عنه، والتعـدد بالتولـد مساو فى الاستحالة لتعدد الآلهة بالأصالة لتساوى ما يلزم على التعدد فى كليهما من فساد الأكوان المشار إليه بقوله تعـالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [1]، وهذا ما يسمى ببرهان التمانع.

[1] – سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

-وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أبطل إلهية غير الله بالمماثلة والمشابهة، لأن الله تعالى لا مثيل له ولا شبيه ولانظير، فهو كما قال عن نفسه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١]وبهذا يتحقق كمال واحدانيته، وتمام معرفته.

ثانيًا: أهم التوصيات

١-ضرورة الاهتمام بدراسة العقيدة الإسلامية بوجه عام، وقضية التوحيد وفى مقدمتها: وحدانية الله تعالى بوجه خاص لأنها رأس الدين وعموده، الذى تنبنى عليه كل أصوله وفروعه.

٢-التركيز على المنهج القرآنى فى دراسة قضايا العقيدة وفهم مسائلها لأنه المنبع الصافى والمصدر الأصيل لتقريرها، وإقامة الأدلة اليقينية على صحتها، ومناقشة المخالفين لها بالدليل والبرهان.

٣-تقديم العقيدة الإسلامية لعموم الأمة بصفة عامة، وللنشء فى مختلف مراحله بصفة خاصة فى ثوب علمى جديد، وبأسلوب عصرى يلبى حاجات المسلمين وما يواجهونه من تحديات.

٤-ضرورة الاهتمام بدراسة علم الكلام الذى كان ولا يزال له الدور الأكبر فى الدفاع عن العقيدة الإسلامية ورد الشبه عنها بأسلوب متميز يجمع بين صحيح النقل وصريح العقل.

---

[١] - سورة الشورى:الآية ١١.

٥-الاهتمام بالتراث القيم الذى خلفه لنا اللغويون والمفسرون وعلماء الكلام وغيرهم لأنه لا يمكن فهم ما ورد فى القرآن الكريم من قضايا عقدية أو تشريعية أو غير ذلك فهمًا سليمًا إلا فى ضوء قراءة ذلك التراث قراءة واعية متأنية والوقوف على ما فيه من كنوز.

٦-المداومة على تلاوة سورة الإخلاص وتدبر معانيها لنظل دائمًا على العهد مع الله تعالى إيمانًا بوحدانيته، وإخلاصًا له فى عبادته، فالسورة الكريمة تعلمنا المنهج الربانى الذى يجب أن نسير عليه وندعوا من حولنا إليه.

٧-الالتزام بقراءة سورة الإخلاص والتعبد بها فى صلاة الوتر، وفى السنة الراتبة لصلاتى الفجر والمغرب، وقراءتها أيضًا مع سورة (الكافرون) فى ركعتى سنة الطواف خلف المقام، ومع المعوذتين ثلاث مرات فى أذكار الصباح والمساء، وقراءتها كذلك مع المعوذتين كرقية شرعية يستشفى بها من المرض أسوة بالنبى صلى الله عليه وسلم وإحياء لسنته.

٨-الإكثار من الدعاء بسورة الإخلاص لاشتمالها على اسم الله الأعظم الذى إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

٩-تعليم أبنائنا سورة الإخلاص فى صغرهم ببساطة ووضوح، وترغيبهم فى تلاوتها لنغرس فى نفوسهم عقيدة التوحيد وحبهم لها منذ

نعومة أظفارهم تحصيناً لهم ضد أى انحراف يخالف عقيدتهم – التى تربوا عليها – فى مستقبل حياتهم، فالتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر خاصة ما يتعلق بأمور الدين والعقيدة.

١٠–دعوة أهل الكتاب إلى الحق، ومجادلتهم بالتى هى أحسن تأسيًا بسورة الإخلاص التى عالجت فى إيجاز معجز أخطر انحرافاتهم العقدية فى غير ما تجريح أو استهزاء جريًا على طريقة القرآن فى مناقشة المخالفين وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.

١١–على أصحاب العقائد المخالفة لعقيدة التوحيد أن ينظروا فيما عرضه القرآن من عقائد صحيحة تقوم على وحدانية الله تعالى بمفهومها الشامل، وما عرضه بشأن عقائدهم والرد عليها فى حيدة وتجرد، كما يجب عليهم إن أرادوا الوصول إلى الحق أن يستجيبوا لصوت العقل ونداء الفطرة فى أهم قضية خلق من أجلها الإنسان، وهى قضية الإيمان بالله تعالى وحده وإفراده بالعبادة والقصد.

أهم مراجع البحث

١- القرآن الكريم.

٢- الأدلة القرآنية على توحيد الله : دكتور / محمد أحمد محمد محمود وهو موضوع رسالة ماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .

٣- أرجوزة جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن إبراهيم حسن اللقانى مع شرحها : تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجورى (١٢٧ ، ١٢٨) - ط جامعة الأزهر (١٤٣١ - ١٤٣٢هـ) - (٢٠١٠-٢٠١١م) .

٤- أسرار ترتيب القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطى تحقيق : الأستاذ : عبد القادر أحمد عطا - ط . دار الاعتصام – القاهرة.

٥- الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادى تحقيق : الدكتور فيصل بديرعون ط جامعة الكويت ١٩٩٨م .

٦- إعراب القرآن الكريم وبيانه : محى الدين بن أحمد مصطفى درويش ط . دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية - دار اليمامة - دمشق - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ .

٧- البحث العلمى ومناهجه وتقنياته للدكتور محمد زيان عمر ط مطبعة خالد حسن الطرابيشى بالقاهرة

٨- البحر المحيط فى التفسير : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تحقيق : صدقي محمد جميل - ط . دار الفكر- بيروت -١٤٢٠ هـ .

٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . أبو العباس أحمد بن محمد المهدى بن عجيبة الحسنى الأنجرى الفاسى الصوفى - المتوفى (١٢٢٤هـ)- ط دار الكتب العلمية بيروت - بدون تاريخ.

١٠- البرهان فى تناسب سور القرآن ويسمى (البرهان فى ترتيب سور القرآن) : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطى تحقيق : محمد شعبانى - ط . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١١- البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط . دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه - الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

١٢- بصائر ذوى التمميز فى لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى تحقيق : الأستاذ محمد على النجار - ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الطبعة الثانية - غرة جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.

١٣- التحرير والتنوير . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ط دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

١٤- التسهيل لعلوم التنزيل . أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى ٧٤١هـ - تحقيق الدكتور عبدالله الخالدى ط دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت

١٥- التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني - صـ ١٦ - تحقيق : محموج رأفت الجمال ، ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة - الطبعة الأولى ٢٠١٣م .

١٦- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل في تفسير القرآن . الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المتوفى (٥١٠هـ) تحقيق عبدالرازق المهدي - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ.

١٧- تفسير الثعلبي المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) : الإمام: أحمد بن محمد بن الثعلبي أبو إسحاق المتوفى (٤٢٧هـ) تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان - بدون تاريخ.

١٨- تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل في معاني التنزيل " : علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحى أبو الحسن المعروف بالخازن المتوفى (٧٤١هـ) ط دار الفكر - بيروت - لبنان عام (١٣٩٩هـ -

١٩- تفسير الزمخشري المسمى (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

الخوارزمي تحقيق عبدالرازق المهـدي – ط دار إحيـاء التـراث العربي – بيروت – بدون تاريخ.

٢٠- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم . أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى (٣٧٣هـ) تحقيـق محمود مطرجى – ط دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ.

٢١- تفسير السمعانى المسمى : " تفسير القرآن " : أبو المظفـر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم – ط . دار الوطن – الرياض – السعودية .

٢٢- تفسير سورة الإخلاص . شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية المتوفى (٧٢٨هـ) ط دار الريان للتراث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢٣- تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين للشيخ الرئيس أبي على الحسين بن عبدالله الشهير بابن سينا وهو مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم عام (٧٢٩٨) ورقم خاص (١١٦٧) وقد نسـخه / محمـد الحسينى الشافعى الأزهرى بتاريخ الاثنين الثانى من ذى الحجة عـام ١٢٩٩هـ.

٢٤- تفسير الطبرى المسمى: جامع البيان عن تأويل آى القرآن. الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى أبو جعفـر الطبري – المتوفى (٣١٠هـ) تحقيق: أحمـد محمـد شـاكر – ط مؤسسة الرسالة – بدون تاريخ.

٢٥- تفسير القرآن العظيم : الإمام أبو الفداء الحافظ ابـن كثيـر الدمشقى طبعة دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبى - بدون تاريخ.

٢٦- تفسير القرآن العظيم المسمَّى : " تأويلات من أهل السنة " : الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السـمرقندى الحنفى تحقيق : فاطمة يوسف الخيمى ، ط . مؤسسـة الرسـالة - الطبعة الأولى

٢٧- التفسير القرآنى للقرآن، للأستاذ عبدالكريم يونس الخطيـب المتوفى (١٣٩٠هـ) ط دار الفكر العربى - القاهرة - بدون تاريخ.

٢٨- تفسير القرآن بالقراءات العشر - من سورة التغـابن إلـى سورة الناس للباحث صابر بن محمد أحمد وهي رسـالة ماجسـتير مقدمة إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول دين - جامعة غزة الإسلامية - عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولـى ١٤٢٢هـ - ١٩٩١ م

٢٩- تفسير الماوردي = النكت والعيون : أبو الحسن علي بـن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغـدادي، الشـهير بالمـاوردي (٣٧١/٦) - تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - ط . دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - بدون تاريخ -

٣٠- تفسير المنار المسمّى " تفسير القرآن الكريم " : الإمام رشيد بن على بن رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .

٣١-تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفى - ط . دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبى - بدون تاريخ .

٣٢- تفسير النيسابورى المسمى غرائب القرآن ورغائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري- تحقيق: الشيخ زكريا عميران- دار الكتب العلمية- بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٣٣- التفسير الوسيط للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي ط دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٣٤- التفسير الوسيط للدكتور / محمد سيد طنطاوى ط . دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة - الطبعة الأولى - مارس ١٩٩٨م .

٣٥- التوحيد لأبى منصور الماتريدى بتحقيق الدكتور / فتح الله خليفة – ط دار الجامعات المصرية .

٣٦- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي : للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري

الخزرجي القرطبى ط . دار الغد العربى – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٣٧– حاشية الشيخ محمد نجيب المطيعى على شرح الدردير على الخريدة فى علم التوحيد ط دار البصائر – مدينة نصر القاهرة – بدون تاريخ ،

٣٨–حاشية شيخ الإسلام عبدالله بن حجازي الشرقاوي على شرح الإمام العلامة محمد بن منصور الهدهدي – ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الرابعة (١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م).

٣٩– الدرالمصون في علم الكتاب المكنون . أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي المتوفى ٧٥٠ هـ (١١ / ١٤٩) – تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ط دار القلم دمشق.

٤٠– الدر المنثور في التفسير بالمأثور – الإمام عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١هـ) تحقيق مركز هجر للبحوث – ط دار هجر – مصر – سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.

٤١– رسالة التوحيد للإمام محمد عبده بن حسن خير الله ط دار الكتاب العربى – بدون تاريخ .

٤٢– روائع التفسير المسمى الجامع لتفسير الإمام زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامى البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي المتوفى (٧٩٥هـ) – جمع وترتيب أبو معاذ طارق

بن عوض الله بن محمد ط دار العاصمة – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).

٤٣- روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للإمام أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية – ط دار الكتب العلمية – بيروت . المعجم الوجيز : – ط وزارة التربية والتعليم – مجمع اللغة العربية – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

٤٤-- السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربينى الشافعى ط. مطبعة بولاق الأميرية – القاهرة .

٤٥- الشامل فى أصول الدين لإمام الحرمين الجوينى تحقيق : د/ على سامى النشار ، فيصل بدرعون ، سهير محمد مختار – ط منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩م .

٤٦- شرح الإمام أبى عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ المسمى ي" بهداية المريد لعقيدة التوحيد " وشرحها " عمدة أهل التوفيق والتسديد " للإمام الجليل محمد بن يوسف السنوسى ط مطبعة محمد أفندى مصطفى ١٣٠٦هـ.

٤٧- شرح الصاوى على جوهرة التوحيد للإمام الشيخ أحمد بن محمد المالكى الصاوى – المتوفى (١٢٤١هـ) تحقيق الدكتور

عبدالفتاح البزم – ط دار ابن كثير – دمشق بيروت – الطبعة التاسعة (١٤٣٣هـ -٢٠١٢م).

٤٨- صفوة التفاسير : الشيخ محمد على الصابونى دار الصابونى بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م

٤٩- العقيدة الدينية عند قدماء المصريين بين التوحيد والتعديد للباحث وهو موضوع رسالة دكتوراة بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة عام (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) .

٥٠- فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى تحقيق : محب الدين الخطيب – ط . دار الريان للتراث – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

٥١- فى رياض العقيدة الإسلامية : الدكتور / محمد أنور حامد عيسى، والدكتور أحمد حمد أبو السعادات ط دار التوفيقية للطباعة بالأزهر – القاهرة – بدون تاريخ .

٥٢- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

٥٣- اللآلىء الحسان فى علوم القرآن : الدكتور / موسى شاهين لاشين – طبعة الجمعية الشرعية الرئيسية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية بدون تاريخ .

٥٤- لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى ط دار صادر بيروت

٥٥- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي - صـ ١٨٤ - ط المطبعة الأميرية بالقاهرة - الطبعة السابعة ١٩٥٣م .

٥٦-المختار من تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد متولى الشعراوى – ط. مكتبة التراث الإسلامى – بدون تاريخ.

٥٧-المختار من شرح البيجورى على الجوهرة للعلامة شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى ط الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٥٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ط دارالتراث العربى - الطبعة الأولى ١٤٠٣ - ١٩٨٢م .

٥٩-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي - صـ ١٧٧ - تحقيق : الدكتور / عبد العظيم الشناوى - ط دار المعارف بالقاهرة - بدون تاريخ .

٦٠- معاني القراءات للأزهري: محمد بن أحمد الأزهري الهروي أبو منصور المتوفى ٣٧٠هـ ط مركز البحوث بكلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ١٩٩١ م.

٦١- المعجم الفلسفى للدكتور : جميل صليبا ط دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان - ١٩٨٢م .

٦٢- المعجم الفلسفى : مجمع اللغة العربية - ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٦٣معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية للدكتور / جلال الدين سعيد ط دار الجنوب للنشر - تونس - بدون تاريخ .

٦٤- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - ط دار الفكر - بدون تاريخ .

٦٥- المعجم الوسيط : الدكتور : إبراهيم أنس وآخرون ط دار المعارف - مصر - الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٦٦- مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ط دار الغد العربى - الطبعة الأولى ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ .

٦٧- المفردات في غريب القرآن :أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى: (٥٠٢هـ) تحقيق الشيخ : مصطفى العدوى - ط مكتبة الفياض بالمنصورة - مصر - الطبعة الأولى (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) .

٦٨-المقصد الأسنى - شرح أسماء الله الحسنى : الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ط . مكتبة الإيمـــان - القـــاهرة - بدون تاريخ .

٦٩- الملل والنحل لأبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى تحقيق : الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل - ط مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع بالقاهرة - بدون تاريخ .

٧٠-مناهج البحث العلمى للدكتور / عبد الرحمن بدوى ط وكالة المطبوعات - الكويت - الطبعة الثالثة ١٩٧٧م .

٧١- مناهل العرفان فى علوم القرآن : الشيخ محمد عبد العظـــيم الزرقانى طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه - الطبعة الثالثة بدون تاريخ.

٧٢- المنهاج القرآنى فى التشريع للدكتور عبد الســـتار فـــتح الله سعيد ط شركة منارات للإنتاج الفنى والدراسات - الطبعـــة الثانيـــة (١٤٣٢هـــ - ٢٠١١م) .

٧٣- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى تحقيق : عبد الرازق غالب المهدى – ط . دار الكتب العلمية – بيروت – (١٤١٥هــ - ١٩٩٥م).

٧٣- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القـــرآن وتفســـيره، وأحكامه : أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي ط . مجموعة بحوث

الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسـات الإسـلامية - جامعـة الشارقة - الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

فهرس الموضوعات